

روائع الأدب العالمي للناشرين

# المخطوف

روبرت لويس ستيفنسون





# المخطوف

تأليف: روبرت ستيفنسون  
تبسيط: إيقلين أتوود  
ترجمة: صبرى الفضل  
مراجعة: مختار السويفى





## مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ: هيئة الكتاب

المخطوف

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون

تبسيط : إيفلين أتوود

ترجمة : صبرى الفضل

مراجعة : مختار السويضى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

المخطوف

اسم العمل الفني : منظر مدينة      التقنية: زيت على توال  
مقاس العمل : ٦٦ × ٨٢ سم

### موريس أوتريللو (١٨٨٢ - ١٩٥٥)

مصوّر فرنسي، تأثر بفن أمه التي ظلت تعمل  
كموديل للرسمين، ثم أصبحت مصورة، وكان الفنان  
يرسم شارع مونمارتر بباريس، وذات مرة لاحظ أن  
رسومه تمثل نوعاً من الاتجاه الحديث ذات النزعة البدائية  
التي لم تلاق نجاحاً إلا بعد الحرب العالمية الأولى. كان  
أوتريللو مستقلاً عن كل الحركات الفنية المعاصرة، وقدم  
أعمالاً للمناظر الطبيعية ذات المنظور التقليدي والألوان  
الشاحبة، تتألق بالضوء في مرحلته البيضاء.

محمود الهندي

## على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التي أطلقناها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة ١٧٠٠٠، عنواناً في حوالى ٣٠٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً وإقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى ٣٠٠ ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنتطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة، للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى ١٦ جزءاً إلى جانب الصلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان





## المؤلف

يعتبر « روبرت لويس ستيفنسون » من أعظم الكتاب البريطانيين الموهوبين في أواخر القرن التاسع عشر . فهو الرومانسى الاسكتلندى ، كاتب الرحلات ، الشاعر ، كاتب المقالات ، مؤلف قصص المغامرات الرومانسية المحبوبة الخالدة :

« جزيرة الكنز » و « المخطوف » ( ١٨٨٦ ) ،  
« كاتريونا » ( ١٨٩٣ ) ، « السهم الاسود » ( ١٨٨٨ ) ،  
والقصة الرمزية النفسية المربعة « دكتور جيكل

ومستتر هايد ، التى أصبحت من أشهر روايات الأدب  
الكلاسيكى للناشئين .

وقصة حياة « ستيفنسون » طريفة مثل قصصه ،  
مغامرة دائمة فى كفاحه الباسل ضد مرضه الصدرى  
الذى لازمه منذ صغره ، وفى ولعه المستمر لاكتشاف  
آفاق جديدة فى حبه العميق للطبيعة وللانسان .

ولد عام ١٨٥٠ فى ادنبره ، وكان الابن الوحيد  
لمهندس ناجح تخصص فى العمل فى أنهار اسكتلندا  
وموانئها ، وفى بناء المناظر البحرية . تربى فى بيت  
متدين ، وكان من المتوقع رغم ضعف صحته أن يتابع  
مهنة والده . لكنه تأكد عندما كان يدرس القانون فى  
جامعة ادنبره بأنه لا يطمح الا أن يصير كاتباً ، وبدأ  
يلتقى بكتاب كثيرين ، قدروا فيه طلاوة حديثه وخفة  
روحه فيما يكتب .

وحشته نوبات مرضه الشديدة لقيامه برحلته  
الأولى لفرنسا عام ١٨٧٣ التى ألهمته كتابه « رحله  
داخلية » ، (١٨٧٨) و « سفريات مع الحمار فى جبال

السفين ، ( ١٨٧٩ ) ، وهذا النوع من الكتابة يعد  
نموذجا لاسلوبه الجذاب رغم أن كتب الرحلات تهتم  
أساسا بولع الراوى فى اثاره الصور الذهنية ، والاجواء  
الغريبة .

تخرج « ستيفنسون » كمحام فى عام ١٨٧٥ ،  
وكان قد ذاع صيته فى انجلترا من خلال مقالاته فى  
« كونهيل مجازين » . وفى عام ١٨٧٦ قابل « فاني  
اوسبورن » وهى سيدة أمريكية فى السادسة والثلاثين  
لها ابن وابنة من زواج فاشل كان فى طريقه  
للانهايار . أحس « ستيفنسون » بأنها هى المرأة التى  
ينشدها ، فقرر فى العام التالى لعودتها الى كاليفورنيا  
أن يلحق بها .

وبعد رحلة شاقة وصل الى سان فرانسيسكو  
معدما وفى حالة صحية سيئة . وفى هذه الرحلة عبر  
المحيط الاطلسى فوق ظهر سفينة مهاجرين الى نيويورك  
استغرقت أحد عشر يوما ثم بالقطار الى أقصى الغرب  
فى اثنى عشر يوما ، ولقد وصفها فى كتابه « عبر

السهول ، ( ١٨٩٢ ) ، و « المهاجر الهاوى » ( ١٨٩٠ ) .  
وبعدما حصلت « فاني » على الطلاق من زوجها  
فى مايو ١٨٨٠ . وكان هذا الزواج بداية لأعظم فترة  
انتاجية فى حياته .

أنتج « ستيفنسون » - أثناء سفرياته الواسعة  
فى البحث عن مناخ ملائم لصحته - سيلا متدفقا من  
القصص والروايات الرومانسية والمقالات والأشعار :  
مثل « جزيرة الكنز » التى بدأ ينشرها فى حلقات  
مسلسلة تحت عنوان « طباح البحر » ( ١٨٨١ )  
بشخصياتها المعروفة الآن فى كل أرجاء العالم « لونج  
جون سلفر » ذى الساق الواحدة ، والصبي البطل  
« جيم هوكنز » ، و « حديقة أشعار الطفل » ( ١٨٨٥ )  
التي بدأها فى فرنسا ، و « دكتور جيكل » التى كتبها  
فى انجلترا . وعند عودته الى الولايات المتحدة فى عام  
١٨٨٧ عاش فى جبال اديرونداك ، حيث بدأ فى كتابة  
رواية رومانسية تاريخية تدور أحداثها مثل كثير من  
أعماله فى اسكتلندا التى ينهل « ستيفنسون » من  
ارضها الوحشة نبع اسلوبه القوى الفريد .

نجح « ستيفنسون » في أعماله الأدبية وحقق شهرة عريضة في كل من إنجلترا وأمريكا . وفي يونيو ١٨٨٨ أبحر في يخت استأجره هو وعائلته من سان فرانسيسكو إلى جزر جنوب المحيط الهادى . وقد استغرقت هذه الرحلة أربعة شهور زاروا خلالها ثلاثا وثلاثين جزيرة . وكان سعيدا في جزر الماكيث ، وهاواي وساموا ، التي وصفها في كتابه « حاشية للتاريخ » (١٨٩٢) وفي كتاب « البحار الجنوبية » (١٨٩٦) ثم أصبحت جزيرة ساموا وطنه الدائم من عام ١٨٩٠ ومات فيها في ٣ ديسمبر ١٨٩٤ ، ودفن في قمة جبل « فيا » هناك .

• المترجم •



رحلة ديفيد بالفور

## الفصل الأول

### مغادرتي للبيت

في صباح يوم جميل من أيام شهر يونيو غادرت  
منزل أبي للأبد . وكان مستر كامبل ، قس كنيسة  
القرية ، ينتظرني بجوار بوابة حديقته ،

وعندما اقتربت منه قال :

— حسن يا ديفيد ، سامشي معك بعض الطريق .  
مشينا في صمت دقائق الى أن سألتني القس :

قائلا :

— هل انت حزين بسبب مغادرتك «ايسندين»؟



## فاجبته :

— لا أدري ياسيدي ، « ايسندين » مكان طيب .  
لقد كنت سعيدا فيها ، لكنى لم أر الدنيا بعد . والآن  
بعد وفاة والدى فأنا أغادرها لأبحث عن مستقبل .

## فقال مستر كامبل :

— حسبن ، يجب أن أخبرك بشيء . عندما ماتت  
امك كان أبوك مريضا جدا ، فأعطاني رسالة تتعلق  
بميراثك وقال لى — وعندما اموت اعطى ولدى ديفيد  
هذه الرسالة ، واجعله يذهب بها الى منزل عائلة  
شوز . . انه غير بعيد عن « كراموند » . لقد جئت من  
ذلك المكان ، وعلى ابنى أن يعود الى هناك .

## فصحت قائلا :

— منزل عائلة شوز ! هل كان أبى أصلا من  
عائلة شوز ؟ وماذا يمكن أن يكون ميراثى هذا ؟

## فاجاب :

- لا ادرى ، ولكنك تحمل اسم هذه العائلة  
« بالفور » من « شوز » .. وهو بيت من البيوت  
الاسكتلندية العريقة الشريفة . وكان أبوك « جنتلمان »  
وكان الحديث معه يتمتعى متعة عظيمة . وكنت ادعوه  
كثيرا لبيتى لمقابلة الافاضل من اقاربى .

وناولنى الرسالة التى كان أبى قد كتب عليها :  
« الى ابنيذر بالفورد ، منزل عائلة شوز ، حامل هذه  
الرسالة هو ابنى ديفيد . » .

كان قلبى يذق بصعوبة ، فها هو مستقبلى يتضح  
لى . لقد كنت فى السابعة عشرة من عمرى ابنا لمدرس  
اسكتلندى فقير ، بمدرسة القرية .

## وسالت مستر كامبل :

- سيدى ، .. هل تعتقد انه يجب على ان اذهب  
الى هناك ؟

### فاجاب القس :

- نعم ، اذهب فى الحال • ان « كراموند » قرية قريبة من ادنبره • وانت شاب صغير وقوى • توجه اليها الآن وسوف تصلها غدا • واذا لم يرحب بك اقاربك الذين يعتبرون من علية القوم ، فيمكنك ان تعود الى •• لكنى آمل ان يرحبوا بك هناك • والآن دعنى اقدم لك بعض النصائح ••  
كان وجهه جادا عندما جلس تحت شجرة وبدا

### يقول لى :

- لا تنس صلواتك واقرا كتابك المقدس كل

يوم •

واخذ يصف لى بعد ذلك البيوت العظيمة واصحابها وخدمها الكثيرين واستمر فى نصحه لى قائلا :

- حسن سلوكك دائما يا ديفيد •• ولا تجعلنا نخجل منك • فانت ابن جنتلمان اصيل ، ولكنك عشت دائما فى الريف ، فكن حكيما ، واحترم اللورد صاحب المنزل وكن مطيعا له •

فقلت له :

- سأحاول يا سيدي !

فقال مستر كامبل :

- هذا رد طيب .

ووضع يده فى جيب معطفه وهو يقول :

- لقد اشتريت مفروشات وكتب والدك ، وها هو ثمنها ، واليك أيضا ثلاث هدايا بسيطة منى ومن مسز كامبل .

ووقف على قدميه داعيا لى وعانقنى للحظة مودعا ثم رجع مسرعا . وفهمت عندئذ أنه لم يحب مفارقتى .

كان حزينا ، ولكنى شعرت بالسعادة . كنت اظن اننى سأغادر هذه الحياة الريفية الهادئة لأذهب لمنزل عظيم نشط . . . وسأكون بين أناس اغنياء وعظماء من دهمي ويحملون اسمى . وتخيلت ذلك المكان الكبير وهو يعج بالخدم ، وبالمفروشات الفاخرة وبججراته الواسعة . . وفجأة شعرت بالخجل ،

## فقلت لنفسي :

— يالك من جاحد يا ديفيد • لو كنت أصيلا حقا  
فيجب أن لا تنسى أصدقاءك القدامى العطوفين

ونظرت لهدايا القس الثلاث ، التي كانت عبارة  
عن : شلن ، وانجيل ، وبعض العقاقير الريفية •  
فوضعتهم في صرتي الصغيرة وتسلفت التل ، ووقفت  
على قمته وأخذت أنظر خلفي الى « اسندين » ، فرأيت  
منزل القس ، وكنيسة القرية والاشجار الموجودة في  
فنائها ، حيث يرقد أبى وامسى تحت الارض التي  
تظللها •• وأخذت أسير والصرة فوق كتفى •• !

## الفصل الثاني

---

### وصولي الى منزل عائلة شوز

وفي صباح اليوم التالي وصلت الى مشارف سهل واسع ، تقع في منتصفه مدينة عظيمة . انها ادنبره . وشاهدت البحر في الطرف البعيد من السهل كان هناك علم يرفرف فوق القلعة وعدد من السفن في الماء ، وكنت مندهشا لما اراه لأول مرة .

توقفت عند كوخ ، واستفسرت عن الطريق ، فاخبرني رجل أن « كراموند » تقع غرب المدينة ، فاخذت امشي وامشي الى أن رايت بعض الجنود يسرون في مسيرة عسكرية بالطريق الرئيسي ، فأجبت

معاطفهم الحمراء ، والموسيقى المرحية التي تعزفها  
فرقتهم .

وصلت « كراموند » وسالت أحد الرجال عن  
منزل عائلة شوز ، فنظر الى بنظرة فاترة فهمت منها  
انه كان مندهشا لسؤال ،

### فقلت فى نفسى :

— لعله يتأمل ملابسى الريفية ، فهى مغبرة من  
وعناء الطريق ، يبدو انه لا يجدنى لائقا بمنزل  
عظيم .

وعندما تكلمت مع اناس آخرين دهونى بنفس  
النظرة الفاترة . ما هى الحكاية ؟ لم استطع ان  
افهم !

وثناء دهشتى رايت شخصا مهذبا كان آتيا مع  
عربته من طريق جانبى .

**فسالته :**

- هل تعرف منزل عائلة شوز ؟  
توقف وأخذ هو أيضا ينظر الى بتحفظ

**ثم قال :**

- نعم .  
- هل هو منزل عظيم ؟  
- حسن ، نعم . المنزل كبير ..  
- والناس الذين فيه ؟

**فصاح :**

- هل أنت مجنون ؟ لا يوجد أناس هناك .  
- ماذا ؟ ولا مستر ابتيزر ؟

**فقال الرجل :**

- أوه . نعم . اللورد صاحب المنزل ان كنت  
تقصده . ماذا تريد من هناك يا فتى ؟



**فاجبت :**

- اننى آمل ان أجد عملا .

**فصاح الرجل بحة :**

- ماذا ؟ دعنى اسدى لك النصيحة . لا تقترب

من منزل آل شوز . . !

ثم قابلت بعد ذلك رجلا متأنقا صغير الحجم .  
يضع على رأسه شعرا مستعارا ابيض جميلا ، وأدركت  
من شعره المستعار أنه حلاق . ويعرف الحلاقون كل  
شئ ، وكل شخص ، فهم يتبادلون اطراف الحديث  
مع الناس عندما يحلقون لهم رؤوسهم .

**فسأله :**

- هل تعرف مستر بالفور من آل شوز ؟

**فضحك بحة وقال :**

- ابنيذر ؟ أعرفه ، ولكنه ليس بصديق لى .

لقد انزعجت بشكل خطير بهذه الكلمات . لماذا



اشارت الى مبنى ضخام فى الوادى القريب

يتجنب الجميع منزل آل شور ؟ لماذا لا يحب أحد  
اللورد صاحب المنزل ؟ ماذا يجب على أن أفعل ؟ كان  
يمكنني أن أعود الى مستر كامبل ، ولكن المسافة  
أصبحت بعيدة ، وحثني كبريائي على مواصلة  
السير .

قابلت بعد ظهر ذلك اليوم امرأة غاضبة مكفهرة  
الوجه . كانت في عينيها نظرة مجنونة ، وسالت مرة  
أخرى عن آل شور . فاستدارت وقادتني الى أعلى التل  
وأشارت الى مبنى ضخم أسفل الوادي القريب ، فأخذت  
أتأمل المنظر .

كانت الأرض بهجة للناظرين بتلالها المنخفضة  
وغاباتها وجداولها الرقراقة . والمحاصيل تنمو في  
الحقول بشكل جيد . بينما يقف المنزل منعزلا في مساحة  
جرداء . . . كان يشبه الأطلال ، فلا طريق يؤدي اليه ،  
ولا دخان يتصاعد من مداخنه ، ولا حديقة له . كان  
قلبي ثقيلا عندما صحت :

— هذا ؟ !

فنظرت اليه المرأة وصرخت بحق :

— هذا هو المنزل .. منزل شوز ! انى اكرهه .  
لقد بنى بالدم ! .. وبالدم توقف العمل فيه ،  
وسيهدمه الدم ويجعله اطلالا ! .. واذا رأيت اللورد  
فاخبره بكلماتى .. اخبره ان « جانيت كلوستون »  
تقذف اللعنة عليه ! عليه وعلى المنزل ، وعلى كل شئ  
فيه !

ثم استدارت بغضب ، وولت مدبرة . ملأتنى  
كلماتها بالخوف . ففى تلك الايام كانت الناس  
لا تزال تعتقد بأن اللعنات تجلب الشر . ووجهت  
نفسى انتفض مرتعشا .

وجلست على جانب حفرة ، ونظرت الى منزل آل  
شوز . كان الريف البهيج مزينا بالازهار . وكانت  
الخراف ترعى فى الحقول ، والارض طيبة والهواء  
دافئا عليلا ، ولكنى لم احب المنزل .

أخذ الفلاحون يطوفون بى من الحقول . ولم  
اتكلم مع احد منهم . اذ لم أجد العزم لفعل ذلك .

وعند غروب الشمس رأيت دخانا يتصاعد من  
المنزل . كان ضئيلا جدا . لا بد أن هناك نارا موقدة  
بالمنزل . ربما يقوم أحدهم بطفى الطعام .

تتبعت أثرا واهنا عبر النجیل ، قادنى الى  
عامودى بوابة من الحجر الرائع ، محلى أعلاهما بشعار  
النبالة الخاص بالأسرة . ولكن لم توجد بوابة بينهما ،  
ووجدت عوضا عنها حبالا مربوطا بين العمودين كنوع  
من السياج .

لم تكن هناك مبان ملحقة بالبيت ، كما لم  
يكن هناك طريق بين عامودى البوابة ، مجرد درب باهت  
يتلوى تجاه المنزل . نظرت ثانية فראيت أن المبنى لم  
يكن أطلالا . بل كانت اجزاء منه لم تكتمل ، وأجزاؤه  
العليا مفتوحة للسماء عند احد أطرافها . وهناك  
سلالم ودرجات . ولكن لسبب ما لم يتم تشطيبها .

وكانت النوافذ بلا زجاج ، وتطير الخفافيش منها  
واليها .

اقتربت من المنزل ، وكان الظلام قد حل ، وعن  
خلال نافذة مرتفعة ضيقة رأيت ضوء نار خافتة . . !  
هل هذا هو منزل أحلامي العظيم ؟ هل يهدأ  
مستقبلي المدهش من هنا ؟ وتذكرت منزل أبى الصغير  
فى « ايسندين » . كان يمكن رؤية ناره وأنواره  
الساطعة من مسافة بعيدة . وكان يرحب بكل امرئ  
هناك .

تقدمت ببطء ، فسمعت أحدهم يحرك صحنوا.  
ثم سعلت جافة مقتضبة . ثم ظهر الباب الامامى فى  
الضوء الخافت كتحة عظيمة من الخشب الرائع ،  
مزين بالمسامير الكبيرة من الخارج ، ويوجد من فوقه  
رمز النبالة مرة أخرى . . وبقلب واهن رفعت يدي  
وطرقت الباب مرة واحدة ، ووقفت وانتظرت . كان  
السكون تاما ، يحطه فقط طيران الخفافيش هنسا  
وهناك . ومرت لحظة طويلة ، فطرقت مرة أخرى

وانصت ، ولم يتحرك أو يتنفس الشخص الذى فى داخل المنزل • ماذا كان على أن أفعل ؟ أهرب راجعا ؟ لكن كلا فالسكون جعلنى غاضبا ، فركلت الباب مرات متتالية ، وصرخت • وفجأة سمعت سعدة من فوق رأسى فقفزت للخلف ، فرأيت رجلا باحد نوافذ الطابق الاول مصوبا نحوى بندقية من النوع القصير ،

**وقال :**

- لقد حشوتها • • !

**فقلت :**

- ملى رسالة لمستر • ابنيزر بالفور • • هل هو هنا ؟

**فسال الرجل حامل البندقية القصيرة :**

- من أرسلك ؟

**فقلت ثائرا :**

- هذا لا يهم !

**فقال :**

- حسن ، يمكنك أن تضعها أسفل الباب ،  
وتعود من حيث أتيت • فصرخت قائلاً :

- لن أفعل ذلك ، يجب أن أناولها لمستر بالغور  
يداً بيد •

وكان السؤال التالي بعد فترة سكون طويلة :  
- من أنت ؟

**قلت :**

- اننى لست خجلاً من اسمى ، انهم يدعوننى  
ديفيد بالغور •

تحرك الرجل بعنف فاصطدمت البندقية القصيرة  
بحافة النافذة ، تلا ذلك فترة صمت طويلة ، وعندما  
تكلم مرة أخرى مستفسراً كان صوته مختلفاً :

- هل مات أبوك ؟

لقد ادعشتنى كلماته ، ولم أحر جواباً •



- نعم ! هذا هو السبب طبعا ، لقد اتيت لانه  
مات .

تلا ذلك فترة صمت أخرى ، ثم قال أخيرا :

- حسن ، سوف أدعك تدخل !

وتحرك مبتعدا عن النافذة ..

### الفصل الثالث

#### لقائي مع عمي

بعد ضجة السلاسل والمفاتيح ، انفتح الباب  
الامامي ، وما ان دلفت الى الممر حتى أغلق الباب بسرعة  
من خلفي .

#### وقال الرجل :

— اذهب الى المطبخ ولا تلمس شيئا !

مضيت في الظلام ووصلت حجرة المطبخ . كانت  
المدفأة أكثر اشتعالا ، وينعكس نورها على الاثاث ،  
فتبينت خزانة ركنية ذات أرفف للكؤوس والأطباق  
وبعض الصناديق الخشبية الكبيرة على طول الجدار ،

كلها ذات أفعال مثبتة عليها . كما كان هناك كرسى  
ومائدة عليها وجبة طعام : طبق عصيدة وملعقه  
وكوب من البيرة الخفيفة . كان هذا هو كل الاثاث  
الموجود فى هذه الحجرة الكبيرة الفارغة بالاضافة الى  
قليل من الاطباق .

وعندما جاء الرجل ، رأيتة نحيفا محنيا ، هزيل  
الكتفين ، ووجهه فى لون الطين . . كان يبدو ما بين  
الخمسين والسبعين من عمره . لم يكن يرتدى معطفا  
ولا صديريا ، بل ملابس النوم فوق قميص قديم ،  
يبدو أنه لم يقم بزيارة الحلاق منذ مدة طويلة . أخذ  
يراقبنى طوال الوقت ، لكنه لم ينظر مطلقا لوجهى  
مباشرة ، الشيء الذى أزعجنى جدا .

ترى من يكون هذا الرجل ؟ خادم عجوز كسول  
مستول عن المنزل ؟ ولم أستطع التخمين ،

**وسألنى :**

— هل أنت جوعان ؟ ايمكنك أن تأكل هذه  
العصيدة ؟

**فاجبته :**

— انه اكلك انت ، اليس كذلك ؟

**قال :**

— اوه ، اننى لست فى حاجة اليه ، لكننى  
سأتناول البيرة ، فهى تحسن من حالة سعالى !

وشرب ، ثم مد يده فجأة ، **وقال :**

— دعنى أرى الرسالة .

**فاجبته :**

— انها ليست لك ، انها لمستر بالفور .

**فقال :**

— حسن ، ومن أنا ؟ اعطنى رسالة الكسندر .

— انت تعرف اسم أبى ؟

— طبعا ، لقد كان أخى .. وأنا عمك يا ديفيد

.. انت ابن أخى .. اعطنى الرسالة واجلس وكل .. !

كان هذا الرجل عمى ! لا يمكن ان أصف خجلي  
جلست على المائدة ، ولكن لم تطاوعنى نفسى على الأكل  
ادار عمى الرسالة فى يديه مرة تلو الأخرى ،

### وسال فجأة :

— ماذا بها ؟ هل تعرف ؟

— لم افتحها يا سيدى .. !

— أه ، لكن لديك بعض الآمال .

— حسن يا سيدى ، لقد سمعت بأن أقاربى  
أغنياء ، فأملت بعض المساعدة منهم . لكنى لسن  
أستجدى .. وإذا لم تساعدنى ، فلدى بعض الأصدقاء  
الطيبين .

### فقال عمى ابنيزو :

— أوه ، لا تفضب . سنكون أصدقاء ، أمل  
ذلك . وإذا كنت لا تريد هذه العصيدة ، فساكل أنا  
بعضاً منها . أنها طعام طيب .

واخذ الملعقة والطبق منى وجلس على الكرسي ،  
ارتشف بعضا من البيرة .

**وقال :**

— ان كنت ظمآن ، فستجد الماء خلف الباب .  
لم اجب ، كنت غاضبا جدا ، ونظرت اليه ،  
اشاح بعينه بعيدا ، وشعرت من غير ريب بأنه يعيش  
مفرده . وانه غير معتاد على الناس ، ربما كان ذلك  
سبب خوفه . **وصال بحدّة :**

— هل مات ابوك من زمن طويل ؟

**قلت :**

— منذ ثلاثة أسابيع ، يا سيدى .

**قال :**

— كان رجلا كتوما . . ، صامتا . عندما كان  
صغيرا كان لا يتكلم الا قليلا . هل تكلم كثيرا عنى ؟  
— لم اكن اعرف يا سيدى ، بأن له اخا .

**فقال عمى :**

- حسن ، حسن ، هل تكلم عن آل شوز ؟

- أبدا ، يا سيدى .

تسببت كلماتى فى دهشته وسروره .

**ثم فكر قائلا :**

- حسن ، انه كان رجلا غريبا !

وقفز قائما وربت على كتفى صائعا :

- سنكون أصدقاء .. اهلا بك .. والآن ، تعال

الى سريرك .

دخل فى المر المظلم وتحرك صاعدا ببطء بعض

الدرج ، وتبعته ، وفتح بابا بمفتاح .

**فقلت له :**

- هل لى بضوء ، يا سيدى ؟

**فقال العم ابنيزر :**

- القمر الجميل موجود .

فاجبت :

– القمو غير موجود يا سيدى ، اننى لا استطيع  
ان ارى السرير .

فقال :

– اوه ، اننى لا أحب الانوار فى المنزل . اننى  
اخشى الحريق ، تصبح على خير ، يا ديفيد .  
وأطبق الباب من خلفه بسرعة ، وأغلقه  
بالمفتاح .

كانت الحجرة باردة ، وتحسست طريقى الى  
السرير ، الذى كان رطباً جداً ، لدرجة اننى لم أستطع  
النوم عليه ، ووقدت على الأرض بمعطفى وصدرتى ،  
ونمت فى الحال . . . !



## الفصل الرابع

### تصرف عمى الغريب

فتحت عيني في الصباح الباكر . فوجدت نفسي  
في حجرة واسعة ، وكان الأثاث رائعا ، والجدران  
مزينة بالجلد . وبها ثلاث نوافذ كبيرة . لاشك أنها  
كانت مكانا لطيفا في الماضي ، أما الآن فهي مغطاة  
بالغبار والقذارة والرطوبة والحشرات . وسقط  
الزجاج من بعض نوافذها .

كانت الشمس مشرقة في الخارج ، لكنني كنت  
أشعر بالبرد . طرقت الباب وأخذت أصيح الى أن فتح  
عمى الباب قائلا :

- يوجد بئر خارج المنزل ، يمكنك أن تغسل وجهك هناك اذا أردت .

اغتسلت ثم ذهبت الى المطبخ ، فوجدت العم ابنيزر قد أشعل النار ، وكان يطبخ العصيدة ، وعلى المائدة طبقان وملعقتان وكوب واحد من البيرة .  
ورآنى عمى أنظر اليها فسألنى :

- هل تريد قليلا من البيرة ؟

**فقلت :**

- اننى أشربها عادة يا سيدي ، لكن لا تزعج نفسك .

**فقال :**

- لا ، لا ، سوف تحصل على بعض منها .  
ووضع كوبا آخر على المائدة ، لكنه لم يأت بالبيرة ، بل سكب نصف ما فى كوبه هو فى الكوب الثانى .

وبعد الافطار تناول عيسى مفتاحا وفتح به درجا  
أخرج منه غليوناً من الفخار ، وبعض التبغ ، وملأ به  
الغليون واقفل على ما تبقى منه .

جلس يدخن فترة من الوقت ، ويسألني سؤالا  
من حين لآخر وسألني مرة :

أين أمك ؟

فقلت له أنها ماتت ، فقال :

— آه ، كانت فتاة جميلة .

وبعد فترة صمت قال :

— ما اسم أصدقائك ؟

فاخبرته أنهم من آل كامبل من عائلة نبيلة  
المحتد من الهايلاند(\*) . ثم أخذ يفكر لبضع دقائق  
وقال :

— ديفيد ، يا ولدي ، سوف أساعدك . سأضعك

---

(\*) سكان الجبال الاسكتلندية .

ربما في الجيش ، أو أجعلك قسا بالكنيسة ، قال  
بالفور أفاضل كآل كامبل ، لكنى أحتاج لقليل من  
الوقت لأقرر مستقبلك ، وفى تلك الأثناء لا تقل شيئا  
لأصدقائك ... ولا رسائل ولا خطابات ، وإن فعلت  
هذا فأمامك بائى .

**فقلت :**

- عمى ابنيزر ، أعتقد أن قصدك طيب ، ولكن  
لى عزة نفسى ، فإن أشرت للباب فسوف أرحل !

**لم يرقه ذلك ، فقال :**

- أوه ، انتظر أياما قليلة وسوف أساعدك .  
لكن لا تخبر أحدا .

**فقلت :**

- حسن جدا ، إن ساعدتنى فساكون لك من  
الشاكرين .

ثم أخبرته عندئذ بأن الفراش رطب وكذلك  
أعطيته ، وبأننى اعتدت على فراش جيد .



ارتدی معظفا وصدريه ولبعة لونهم ازرق

— هل هذا بيتى أم بيتك ؟

ثم توقف فجأة ، وقال :

— لا ، لا ، لم أقصد ذلك . فحاجياتى هى  
حاجياتك يا ديفيد . وحاجياتك هى حاجياتى . فالدم  
أثخن من الماء ، ولا يوجد غيرنا حاليا من العائلة .

تحدث عمى عن العائلة وماضيها العظيم . وقال  
أن أباه قد بدأ فى توسيع المنزل .

— لقد أوقفت العمل ، اذ لا أحب تبديد النقود .

وذكرتنى كلماته بلعنة « جانيت كلوستون » ،  
فأبلغته برسالتها ، فصرخ قائلا :

— انها امرأة سيئة . انها تكرهنى لأنى طردتها  
من كوخها . سوف أعاقبها .

ثم فتح صندوقا ، وأخرج منه معطفا وصدرية  
وقبعة لونهم أزرق ، يبدو عليهم القدم ، لكنهم ما زالوا

فى حالة جيدة ، وارتداهم بسرعة ، وحصل على عصا  
من الخزانة ، وقفل الصندوق والخزانة بالمفتاح ثانية .  
وذهب الى الباب . ثم توقف قائلا :

— لا أستطيع أن أتركك داخل المنزل بمفردك .  
يجب أن أقفل عليك من الخارج .

كانت اهانة كبيرة فغضبت جدا وقلت :

— اننى لست لصا يا سيدى ، اذا قفلت على  
من الخارج فلن نكون أصدقاء مطلقا .

كان وجهه شاحبا وشريرا . فذهب الى النافذة  
وهو يرتعد ، ثم عاد بعد برهة وهو يبتسم قائلا :

— حسن ، سوف لا أذهب .

فقلت :

— أيها العم ابنيزر ، اننى لا أفهم . هل تكره  
وجودى فى منزلك . انك لا تحبى . لماذا تريدنى  
هنا ؟ دعنى أعود لأصدقائى .

فقال :

- كلا ، كلا ، اننى أحبك جدا ، فأنت ابن أخى  
وسوف أساعدك .. انتظر اياما قليلة ، وسنكون  
أصدقاء ..

قلت :

- حسن يا سيدي ، انك عمى ، ويجب أن  
تساعدنى ، وسأبقى فترة قليلة .



## الفصل الخامس

### اكتشفت لغزا

ومضى اليوم .. أكلنا عصيدة باردة على الغداء ،  
وعصيدة ساخنة على العشاء ، فالعصيدة والبيرة الحفيفة  
هى طعام عمى المعتاد . وقل كلامه ، ولما استفسرت  
ثانية عن مستقبلى تكلم عن أشياء أخرى .

ووجدت بجوار المطبخ حجرة مملوءة بالكتب ،  
فسررت لذلك ، وأثناء قراءتى خلال فترة بعد الظهر ،  
اكتشفت شيئا غريبا .. اليوم صور طفل بين الكتب ،  
كتب أبى على الصفحة الاولى ما يلى : « الى أخى ابنيزر  
.. فى عيد ميلاده الخامس » . وكانت الكلمات ثابتة  
واضحة .

لم أفهم ! كان أبى بالطبع ، الأخ الأصغر ، ومع ذلك كتب بشكل جيد عندما كان عمره سنتين أو ثلاثا أو أربعا فقط . تصفحت كثيرا من الكتب المسلية قديمة وجديدة ، فى التاريخ والشعر والقصص ، لكنى لم استطع نسيان هدية عيد الميلاد هذه . وسألت عمى فى المساء :

- هل كان أبى سريعا بارعا وهو طفل صغير ؟

**فاجاب :**

- الكسندر ؟ كلا ، كنت أسرع منه .. كنت بارعا جدا فى الصغر .

كان هذا غريبا ، فسألت :

- هل كنت وأبى توأمين فى نفس العمر ؟

فقفز واقفا فاسقط ملعته وقال :

- لماذا تسأل هذا السؤال ؟

وأمسك بمقدمة سترتى ، ونظر هذه المرة فى وجهى مباشرة . وكانت عيناه صغيرتين لامعتين غريبتين ..

### فقلت مستفسرا :

— ماذا تقصد ؟ ارفع يدك عن سترتى ، يجب أن لا تفعل ذلك .

ورفع يده مرتعدا ، وقال :

— ديفيد ، يجب أن تحدثنى عن أبيك . لقد كان أخى الوحيد .

والتقط ملعقته ثانية ، لكنه كان لا يزال يرتعش .  
لماذا أمسكنى من سترتى ؟ لماذا تظاهر فجأة بحبه لأبى ؟  
ملا الخوف تفكيرى . انه كان مجنونا ، فانا فى خطر .  
لكن اذا لم يكن مجنونا ، فهل كان يخفى الحقيقة ؟  
تذكرت أغنية قديمة مشهورة لطفل فقير ، وعم قاس .  
كان هذا الولد ، الوريث الحقيقى لبيت عظيم ، لكن  
عمه غشه ، وأخذ ميراثه .

الم يسلك عمى معى سلوكا غريبا ؟ هل كنت  
أشبه فتى الأغنية ؟ أكنت أنا وريث آل شوز ؟  
جلست ، وأخذت أرقبه ، وجلس وأخذ يرقبنى .

لم يقل شيئا ، لكنه كان يفكر • عرفت أن أفكاره كانت شريرة • **وقال بعد فترة :**

- ديفيد ، لدى بعض النقود لك • كنت وعدت والدك بها • انها اربعون جنيها • أخرج دقيقة واحدة لأحضرها لك •

أخذت هذه القصة على أنها كذبة ، لكنني أطلعته وخرجت • سمعت صوت الريح فى التلال ، وكان الجو متغيرا • ثم نادانى عمى للدخول • وعد فى يدي ببطء سبعة وثلاثين جنيها ذهبيا ، أما باقى المبلغ فعملات صغيرة ، فوضعها فى جيبه • كان جشعه فظيحا •

ومع ذلك اعتبرت السبعة والثلاثين جنيها هدية كريمة ، لكنها أدهشتنى • لماذا فعل ذلك ؟ شكرته ، ولكننى ظلمت أراقبه ، **وقال :**

- لا أريد أى شكر ، فانا أقوم بواجبى •

وبعد فترة ، **نظر الى وقال :**

- والآن ، هل تقوم بعمل شيء من أجلى • فانا  
عجوز ولست قويا • هل تساعدنى فى بعض أعمال  
المنزل ؟

**فاجبت :**

- طبعاً يا سيدى •

**فقال :**

- حسن ، سوف نبدأ الآن •

**وأخذ مفتاحاً من جيبه وقال :**

- انه مفتاح برج السلم • عليك أن تصعد من  
الخارج ، لان هذا الجزء من المنزل لم يكتمل • اصعد  
السلالم التى يوجد فى نهايتها صندوق يحتوى على  
أوراق • احضره لى •

**فقلت :**

- هل لى بضوء يا سيدى ؟

**فاجاب :**

- كلا ، لا أنوار فى بيتى •

فاستفسرت :

- هل السلالم جيدة ؟

فقال :

- انها فى حالة جيدة جدا . اصعد بمحاذاة

الجدار ، فلا يوجد حاجز ، لكن السلالم جيدة .

وخرجت فى الظلام ..

## الفصل السادس

### تسلق البرج

كانت الريح تهب من بعيد ، والليل حالك السواد  
.. وصعدت ببطء بمحاذاة الجدار الخارجى ، نحو البرج  
.. وفجأة لمع البرق ، فأضاء السماء . ثم اسودت الدنيا  
مرة ثانية .. وفتحت باب البرج بالمفتاح . كان الظلام  
دامسا فى الداخل ، لكنى تحسست السلالم الحجرية  
تحت أقدامى ، انها ثابتة وملساء .. لكنها ضيقة .  
تذكرت كلمات عمى .. وتسلمت ببطء بمحاذاة  
الجدار .. وقلبى يدق بصعوبة .

كانت هناك خمسة طوابق لمنزل آل شوز ، عندما  
وصلت قرب نهايتها ، وجدت الظلام أقل عتمة والهواء  
أكثر شدة ..



وتسلقت صاعدا ببطء.



لماذا كان ذلك ! .. وفجأة ومض برق آخر ..  
عرفت الاجابة ، وملئت بالرعب . أظهر البرق للحظة  
مسابحات مفتوحة فى الجدار ، ولاحظت بعض السلالم  
اقصر من الاخرى ، وغير كاملة .. وكانت احدى قدمي  
تبعد بوصتين فقط من الهاوية !

لم اصرخ .. الخوف منعنى .. لماذا ارسلنى عمى  
لأصعد الى هنا ؟ يجب أن اكتشف ذلك .. وزحفت  
للأمام ببطء شديد .. على يدي وركبتي .. وكانت  
الخفافيش تطير من حولي .. وتضرب بجناحيها فى وجهي  
وجسمي .. وملأني ملمسها بالرعب .. لكنني واصلت  
الزحف .

كان البرج مربعا ، وفى كل ركن حجر كبير  
مختلف الشكل يتصل بالسلالم المستقيمة .. كنت أتحرك  
حول أحد هذه الأركان .. وضعت يدي خارجها لاتحسس  
طريقي .. فانزلت على الحافة التى لا يوجد شيء وراءها  
.. مجرد فراغ ؟ وتنتهى السلالم هنا ، فى الهواء ..  
اذن لقد ارسلنى عمى هنا للخطر !

لقد أرسلنى لأسقط من الطابق الخامس .. لقد  
أرسلنى لأموت ، والبرق هو الذى أنقذنى !

كنت أرتعد ، لكنى كنت غاضبا ، فاستدردت  
وتحسست طريقى ببطء لأهبط مرة أخرى .. واشتدت  
الرياح .. وانهمر المطر ، حتى وصلت الى أسفل .

وضعت رأسى خارجا فى العاصفة ، ونظرت تجاه  
المطبخ ، فرأيت بابه مفتوحا ، وينبعث منه نور ضئيل .  
كان عمى واقفا فى المطر ، وكان منصتا ، ثم جاءت ومضة  
برق ساطعة ، وقصفة رعد عالية ، فدخل عمى المطبخ  
راكضا .. ربما ظن القصفة ، صوت سقوطى .. أو  
ربما تطرق لسمعه صوت الله سبحانه محرما القتل !

وتبعته بهدوء ، فرأيته يفتح الخزانة ، ويشرب من  
زجاجة براندى كبيرة ، وترتعد فرائصه من الخوف . كان  
ظهره تجاهى ، فتسللت خلفه فى صمت ،

واسقطت يدى فجأة على كتفيه وصحت :

— آه !!

صرخ عسى صرخة رعب حادة ، ورمى بذراعيه الى  
أعلى ، فأسقط زجاجة البراندى ووقع على الأرض .

زادنى ذلك قلقا ، لكننى تركته على حاله ، وأخذت  
أفكر . . لا بد أن أتصرف بسرعة . . لا بد أن أجد بندقية  
أو أى سلاح آخر لأدافع به عن نفسى .

كانت المفاتيح معلقة فى الخزانة المفتوحة ، فأخذتها  
وفتحت الصناديق . الأول كان يحتوى على حقائب نقود  
كبيرة ، وكمية كبيرة من الأوراق ، وفى الصندوق الثانى  
وجدت بعض الملابس وخنجروا قديما . ولم يكن سلاحا  
حادا على الإطلاق ، لكننى احتاج لشيء ما . خبأت الخنجر  
تحت صدرتى واستدردت لعسى . كان لون وجهه أزرق  
غريبا . وكان لا يتنفس ، هل كان ميتا ؟ . . أحضرت  
بعض الماء وسكبته على وجهه ، ففتح عينيه ، فرأنى ،  
فارتعد خائفا . وقلت له :

— أبق ، أبق ، واجلس ؛

**فقال :**

— هل أنت حى ؟ هل أنت حى ؟

**قلت :**

- نعم ، انى حى . ولكنى لا أستطيع أن اشكر  
على ذلك .

كان يتنفس ببطء شديد ، **عندما قال :**

- زجاجة الدواء الزرقاء فى الخزانة .. زجاجة  
الدواء الزرقاء . فركضت الى الخزانة ، ووجدت الدواء ،  
واعطيته له ليشربه . **فقال :**

- أنه قلبى يا ديفيد . لدى قلب ضعيف .

اشفقت عليه ، لكنى كنت غاضبا ، فسألته أسئلة  
كثيرة : لماذا كذب على ؟ لماذا أبقانى فى المنزل ؟ لماذا لم  
يجب على سؤالى عن مولد أبى ؟ لماذا أعطانى نقودا ؟  
وبصفة خاصة لماذا أرسلنى الى أعلى البرج لأموت ؟  
كان صامتا ، **ثم قال :**

- دعنى أذهب الى السرير . سأخبرك فى الصباح .  
أعدك .

كنت ضعيفا أحس بالاعياء ، لذلك وافقت .  
واغلقت عليه حجرته ، وعدت الى المطبخ ، وأشعلت نارا  
كبيرة . ثم رقدت على الصناديق ، ونمت ..

## الفصل السابع

### ذهابى الى كوينز فيرى

سقط مطر كثير ليلا ، وفى الصباح التالى كانت  
ريح باردة تهب بشدة من الشمال الغربى . استيقظت  
مبكرا وخرجت . كان هناك جدول ماء قرب المنزل ،  
استحممت فيه . ثم رجعت لأجلس بجانب النار ، وأخذت  
أفكر . فهمت الآن أن عمى عدو لى ، وحياتى ليست  
آمنة ، ولكنى صغير وشجاع . لم أكن حكيما تماما عندما  
اعتقدت أنى أكثر براعة منه . وذهبت وفتحت عليه  
الباب ،

**وقلت وانا ابتسم :**

— حسن يا سيدى ، هل لك أن تفسر لى الآن ؟ لماذا  
أرسلتنى أعلى البرج ؟

فقال انها كانت دعابة ، وضحكت على هذا التفسير • **وقال :**

— حسن جدا ، سأفسر لك بعد الافطار • وفهمت انه يجهز كذبة أخرى ، وفي هذه اللحظة كان هناك طرق على الباب • وفتحته فوجدت فتى نحىلا يرتعد من البرد ، ويرتدى ملابس بحارة • كان يرقص رقصات البحارة ليدفى نفسه • كان مرحا ، لكن وجهه كان حزينا • **وقال :**

— لقد أحضرت رسالة من القبطان هوسيسون لمستر بالفور •

قدت الفتى الى المطبخ وأعطيته بعض الافطار • كان جوعان جدا ، وفي هذه الأثناء ، كان عمى يقرأ الرسالة • وعندما انتهى أعطاها لى **وقال :**

— اقرأها •

فنظرت اليها :

**حانة الهاوس**

## • كوينز فيرى • • سيدى •

اننى موجود فى المرفأ حاليا ، وارسل لك غلام  
السفينة لاسالك هل لديك أى عمل آخر لى ؟ اليوم  
آخر فرصة • لقد تبدات الريح ، وسوف ابحر فى خلال  
ساعات قليلة • كانت هناك بعض المشاكل مع محاميك  
مستر رانكيلور • عليك أن تراه • لقد سحبت حوالة  
على مصرفك ، وسأرسل لك التفاصيل •

الياس هوسيسون

## قال عمى :

- انك كما ترى يا ديفيد ، مرسل هذا الخطاب هو  
قبطان السفينة كوفينانت (★) . انها سفينة شراعية  
بصارين ، انه يتاجر مع دول اجنبية . خصوصا امريكا ،  
ولى نصيب فى تجارته • سنمشى الى هناك مع غلام  
السفينة ، ونرى القبطان فى الحانة •• وربما سنذهب

---

(★) العهد •

الى سفينته لتوقيع بعض الاوراق . ثم سندهب الى محام  
بعدئذ ، وسيشرح لك كل شئ ، . انك لا تصدقنى  
ولكنك ستصدقہ . فالكل يحترمه ، كما انه كان يعرف  
أباك جيدا .

فكرت برهة ، ثم وافقت .

### وقلت لنفسى :

— لا يستطيع عمى أن يؤذنى فى الحانة ، ساكون  
بين اناس كثيرين ، واذا لم يأخذنى الى المحامى ، فساجعله  
يذهب اليه . هذا بالاضافة الى أننى منذ يومين رايت  
البحر والسفن لأول مرة فى حياتى ، واريد أن ألقى  
نظرة عليهما عن كثب .

ارتدى عمى قبعته ومعطفه القديمين ، وقفلنا  
الباب ، وبدأنا سيرنا . . كان صامتا طول الطريق ،  
فاخذت أتبادل أطراف الحديث مع غلام السفينة .  
فاخبرنى أن اسمه رانسوم ، ويعمل فى البحر منذ عيد  
ميلاده التاسع . ولا يستطيع أن يتذكر عمره الآن ،  
وكشف لى عن بعض علامات زرقاء على صدره . كان



يستخدم كثيرا من الألفاظ البذيئة . وقال لي أنه اقترف كثيرا من الأشياء الشريرة .

رأيتُه فتى غرا مسكينا ، فاشفقت عليه ، لكنني لم أصدقَه . كان يعجبُ بالقبطان هوسييسون اعجابا شديدا ، لأنه فظ غليظ القلب ، رغم أنه ليس بحارا جيدا ، فمستر شوان هو الذي يقود السفينة ، وهو أبرع بحار في العالم وعيبه أنه يحتسى الحمر . وكشف لي عن جرح غائر في ساقه .

**وقال :**

— انظر ، هذا الجرح من مستر شوان .

**فصحت :**

— ماذا ؟ هل تركته يضربك ؟

**فقال :**

— نعم ، سوف أقتله في يوم ما .

**فسأله :**

— اليس لديك أصدقاء أو أقارب ؟

فقال ان أباء قد مات •

**فقلت :**

— لماذا لا تترك السفينة •

**قال :**

— حسن ، انها حياة جميلة أحيانا • أحب النزول  
للشاطئ ، وأنفق بعض النقود •• وأنا أكثر حظا من  
الذين يعيشون بعشرين جنيها •• وعندما نحمل صفارا  
يمكننى ضربهم بالحبل •

فهمت أن من هم بعشرين جنيها ، هم السجناء  
الذين ترسلهم الحكومة الى أمريكا الشمالية لمعاقبتهم على  
بعض الجرائم ، وكان الناس هناك يشترونهم مقابل  
عشرين جنيها ليصبحوا عبيدا فى حقول القطن والتبغ ..  
أما الصفار ، فهم أطفال يخطفونهم من بيوتهم أو يسكون  
بهم بحيلة ما ، ويذهبون بهم لأمريكا ليصبحوا عبيدا  
أيضا •

لقد وصلنا قمة التل ، ونظرنا الى أسفل نحو  
الماء •• كانت مدينة كوينز فىرى على مسافة منا جهة



نظرت امامی نحو الکولینانت

الغرب وتقع حانة هاوس منعزلة على حافة الشاطئ ،  
وتقلع المعدية بالقرب منه ، والناس يركبون المعدية  
لعبور الماء .

كان بجوار الشاطئ زورق صغير ، يجلس فيه  
بعض البحارة . قال رانسوم انه زورق القبطان ، وأشار  
الى سفينة شراعية ذات صاريين . كانت على بعد نصف  
ميل من اليابسة ، وكنت أستطيع رؤية البحارة وهم  
يسحبون الحبال ، وسمعتهم يتغنون بأغنية بحرية .  
انهم يجهزون السفينة للرحلة .

نظرت الى الكوفينانت برعب ، انها سفينة مخيفة  
تحمل من هم بعشرين جنيها ، وأطفالا مخطوفين ،  
سيباعون كالعبيد ، واشفقت على كل شخص فوق  
ظهرها .

**وقلت لعمى :**

— لن أركب الكوفينانت. مهما كانت الظروف !

## الفصل الثامن

### الحديقة . .

وصلنا الى الحانة ، وقادنا رانسوم الى السلالم . .  
وفى حجرة صغيرة كان يجلس رجل أسمر طويل بجوار  
مدفأة فحم كبيرة ، ويرتدى سسترة بحر سميقة ،  
وقلنسوة فوق أذنيه . انه القبطان هوسيسون ، فتصافح  
مع العم ابينزر الذى قال له :

— حجرتك حارة جدا .

**فاجاب القبطان :**

— اننى من ذوى الدم البارد يا سيدي . . لقد  
أبحرت للبلاد الحارة سنين عديدة .

جلس الرجلان ليتفحصا بعض الأوراق ، ثم التفت  
عمى نحوى وقال :

— لماذا لا تذهب فى الخارج ليعض الوقت ؟

كانت حرارة الغرفة تسبب لى اعياء ، وفى الخارج  
كان البحر مدهشا .. ونسيت أنه يجب على أن أراقب  
عمى وحيله .. وعرفت فيما بعد اننى لم أكن حكيما  
عندما خرجت .

مشيت على الشاطئ ، وتطلعت الى الامواج . كانت  
رائحة ماء البحر مالحة جدا . وبدأت الكوفينانت تفرد  
أشروعها ، فجعلنى المنظر أتخيل الرحلات البحرية  
البعيدة ، والأماكن الغريبة .

نظرت الى بحارة الزورق الصغير . كانوا رجالا  
سمرا ضخاما ، يرتدى بعضهم القمصان والسترات  
وجميعهم يحملون السكاكين . وتحدثت مع أحدهم ،  
فأستخدم كثيرا من الألفاظ البذيئة ، وعدت بعدها الى  
الحانة ..

أعطيت رانسوم بعض البيرة ، وجلسنا على مائدة  
فى الغرفة الأمامية من الطابق السفلى . وقلت لصاحب  
الحانة :

- هل تعرف مستر رانكيلور ؟

**فاجاب :**

- أعرفه جيدا . انه رجل نزيه جدا . هل أتيت

مع ابنيزر ؟

**قلت :**

- نعم .

**فسال صاحب الحانة :**

- هل أنتم أقارب ؟ أنت تشبه مستر الكسندر !

**فلم اجب ولكنى قلت :**

- ابنيزر ليس محبوبا تماما ، أليس كذلك ؟

- نعم ليس محبوبا . انه عجوز سيء . كثير من

الناس يكرهونه . . . جانيت كلاستون وغيرها . لقد طردهم

من بيوتهم . ومع ذلك كان فى يوم ما شابا طريفا . .

انما هناك حكاية عن مستر الكسندر ، وهى تسيئه .

- اى حكاية ؟

- اوه ، مجرد انه قتله .

— قتله ؟ لماذا ؟

— لماذا ؟ لياخذ ميراث آل شوز .

— أهذا حقيقى ؟ هل كان والى .. ، هل كان  
الكسندر هو الابن الأكبر ؟

— طبعا ، انه الابن الأكبر .

وبعد ذلك ابتعد صاحب الحانة حيث كان مشغولا .  
طبعا ، لقد خمنت ذلك ، وتأكدت الآن ! فانا مثل صبي  
الأغنية كنت وريث آل شوز . كنت غنيا .. لدى منزل  
وأراض . كان راسى مليئا بأفكار سارة .

نظرت من النافذة ، فرأيت القبطان هوسيسون  
يقف بالقرب من الزورق يعطى أوامره للبحارة ، ثم عاد  
الى الحانة . انه رجل طويل جذاب لكن وجهه صارم  
جدا ، وتذكرت قصص رأسسوم عنه .. ربما كانت  
مختلفة .

سمعت عمى ينادينى .. خرجت ، فوجدت  
الرجلين سويا .



**وتحدث القبطان معي وقال :**

- سيدى أننى اميل اليك ، فدعنا نصبح أصدقاء  
.. تعال على ظهر سفينتى لمدة نصف ساعة لنحتسى  
مشروباً معاً .

فقلت له بانى اذهب مع عمى الى المحامى .

**فقال :**

- اوه نعم .. أخبرنى بذلك .. زورقى سوف  
يوصلك للبلدة فيما بعد قرب منزل مستر رانكيلور .

**ثم انحنى فجأة وهمس فى اذنى :**

- خذ حذرك من عمك .. انه ثعلب عجوز ! تعال  
للمركب وسوف أحدثك عنه .

**ثم امسك بذراعى وقال :**

- أى هدية أحضرها لك من امريكا ؟ لفافة تبغ ؟  
أم جلد حيوان متوحش ؟ أم غليون فخارى ؟ أم طائر  
عجيب بريشه الأحمر الزاهى ؟

وصلنا عندئذ للزورق • لقد قال القبطان أن عمى  
ثعلب ، فظننت أنى وجدت صديقا طيبا • • وهكذا ركبت  
الزورق مع هوسيسون ، وتبعنا العم ابنيزر ، ورائسوم •  
شد البحارة المجاديف بقوة ، وفى الحال تحرك  
الزورق فوق الماء •

كانت رحلة قصيرة ممتعة • • كل شىء جديد على ،  
وأخذت أنظر من خلفى الى الشاطئ ومن أمامى نحو  
الكوفينانت • • فتبدو السفينة كل دقيقة أكبر وأكبر  
حتى وصلناها •

قال القبطان بأننى وهو ستكون أول من يصعد  
السفينة ، وألقى بعض الرجال بحبل على جانبها  
ورفعونى به الى ظهرها • • لف القبطان ذراعه من تحت  
ذراعى بسرعة ، ووقفت لبرهة وجيزة ، فتمایل المركب  
جعلنى أصاب بدوار •

أخذ القبطان يشير الى أجزاء السفينة ويخبرنى  
بأسمائها ، واستخداماتها • كنت سعيدا جدا لأرى  
كل هذه الأشياء •

- لكن أين عمى ؟

قلت ذلك بصورة فجائية ، فقال هوسيسون :

- نعم ، أين هو ؟

عندئذ لم يكن صوته صوت صديق ، فانفلت من ذراعه وركضت الى جانب السفينة . كان الزورق يتحرك فى اتجاه البلدة وعمى فيه ..

**فصرخت :**

- النجدة ! النجدة !

واستدار عمى ، وكان وجهه قاسيا . لم أر أكثر من ذلك ، لأن سواعد قوية سحبتنى بشدة ، شعرت بعدها بضربة شديدة على مؤخرة رأسى ، ثم رايت وميض نار قوية ، فقدت على أثرها الوعي .

## الفصل التاسع

### ذهابى الى البحر

كنت فى مكان مظلم عندما عدت الى الوعى ، مقيد  
اليدين والقدمين . وسمعت ضوضاء عالية من : لططات  
الماء ، وزمجرة الريح فى الأشرعة ، وصرخات البحارة ..  
والعالم كله يعلو ويهبط . كنت أشعر بدوار وبغثيان  
وبأن ذهنى ليس صافيا . وفى البداية لم أكن أستطيع  
ادراك أى شئ ، ثم بدأت أدرك بالتدريج .

نعم ، انى راقده فى مكان ما داخل الكوفينانت ،  
السفينة الرهيبة ، والعاصفة تهب من حولها .

لقد رأيت الخطر يحيط بحياتى ، وكنت أشعر  
بالعار والغضب .. تركت عمى يخدعنى مرة أخرى ،

وتركت القبطان يخطفنى .. وهانذا سجيناً ، هجرته  
كل الآمال ! .

ما هى طول المدة التى رقدت فيها داخل المكان  
المظلم ؟ لا أستطيع التخمين . فالنهار والليل سيان .  
كانت هناك رائحة خبيثة ، وأحيانا تجرى الفئران من  
فوق وجهى . ماذا كان يحدث ؟ هل السفينة تتحطم على  
صخرة من الصخور ؟ أم أنها تفرق الى قاع البحر ؟  
وزارنى النوم أخيراً ، رأيت فيه أحلاماً فظيعة .

سلط ضوء على وجهى فاستيقظت ، فرأيت رجلاً  
ضئيلاً يلقي نظرة على . كان له شعر أشقر وكانت عيناه  
خضراوين .

**وقال :**

— حسن ، كيف حالك ؟

لم أقدر على الإجابة لضعفى . تفحص الرجل راسى  
وغسل الجرح الذى به ،

**وقال :**

— انه جرح سى . ابتهج يارجل ! فالحياء لم تنته

بعد . هل تناولت أى طعام ؟ .  
فأخبرته بأننى لا أستطيع الأكل ، فأعطانى بعض  
الماء وخرج .

وعندما عاد مرة ثانية ، كنت بين النائم واليقظ .  
لم أكن مريضا ، وإنما مصاب بدوار شديد ، وكل جزء  
من جسمى يؤلمنى . وكانت الجبال التى حول يدى  
وقدمى حارقة كالنار ، وكنت أخاف الفئران الموجودة  
دائما .

كنت سعيدا عندما رايت الضوء . نزل الرجل  
ذو العيون الخضراء على السلم الحديدى ثم تبعه القبطان  
.. لم يتكلما ، فحصنى الرجل ، ونظف جرحى ثانية ،  
وهو سيسون يراقب ويرمينى بنظرة قاتمة فاترة .

### وقال الرجل الضئيل :

– والآن يا سيدى ، يمكنك أن ترى .. حمى  
شديدة .. لا ضوء ولا طعام .. أنت تدرك معنى ذلك .

### فاجاب القبطان :

– لا أدرك ما تعنيه يا مستر رياتش .

**فقال رياتش :**

— دعنى أتكلم يا سيدي ، يجب أن يخرج الولد  
من هذه الحفرة • ضعه فى السلوقية (\*) •

**فقال القبطان :**

— انه هنا ، وسيظل هنا •

**فقال الآخر :**

— أعرف انك حصلت على مال من أجل هذا  
العمل ، وتذكر من فضلك ، أننى لم أحصل على شيء •  
اننى الضابط الثانى على هذه السفينة القديمة • وتدفع  
لى أجرا مقابل ذلك ، لا مقابل أى شيء آخر •

**فقال القبطان بحدّة :**

— ولكنك تحب شرب البراندى جدا • • لدينا عمل  
على السفينة •

ووضع قدمه على السلم الحديدى ، ولكن مستر  
رياتش أمسك بذراع سترته وبدأ يتكلم :

---

(\*) جزء من مقدم السفينة يبيت فيه البحارة •

.. لقد أخذت مالا مقابل جريمة قتل .

فالتفت هوسيسون وصرخ :

.. ماذا ؟ ماذا ؟ لقد أبحرت معك ثلاث مرات .

انك تعرفنى . اننى رجل صارم ، لكنى لا أقتل .. أنت  
تقول ان الولد سي موت ؟

فقال مستر رياتش :

.. نعم ، سوف يموت .

فاجاب هوسيسون :

.. حسن يا سيدى ، خذه الى السلوقية .

وصعد السلم الحديدى ، وفك مستر رياتش الحبال  
من يدي وقدمى ، ورفعنى بحسار على ظهره وحملنى  
صاعداً بى الى السلوقية ، وأرقدنى فى مرقد ، ثم  
فقدت الوعى مرة أخرى ..

فتحت عيني أخيراً .. كانت السلوقية عبارة عن  
مكان فسيح فى مقدمة السفينة ، تحت ظهر السفينة  
الرئيسى . وكان يرقد عديد من البحارة فى مراقدهم ،  
بعضهم يدخن ، وبعضهم يستريح ، وبعضهم ينام



كان النهار هادئا ، وكانت الكوة (\*) مفتوحة .  
كنت سعيدا بوجود النور والهواء . وعندما تحركت ،  
أحضر لى بحار دواء ، وقال لى أن مستر رياتش أعده  
لى .

رقدت هناك عدة أيام حتى استرجعت صحتى .  
وكان رفاقى غلاظا سيئين ، فحياتهم جعلت قلوبهم  
قاسية ، ولكنهم كانوا كرماء معى أحيانا . فلقد أخذ  
القبطان كل نقودى ، واقتسمها معهم ، فأعادوا هم  
بعضها لى .

كنت فى حاجة لعمال ليساعدونى فى أمريكا ،  
التي أرسلنى عمى إليها لآكون عبدا فى الحقول .

كان رانسوم يأتى أحيانا ويكشف لى عن آثار  
ضرب كثيرة فى جسمه ، كان مستر شوان يضربه  
دائما . . ويقولون أنه أفضل بحار على ظهر السفينة .

شئ غريبه حقا ، فمستر شوان كان رجلا طيبا  
عندما لا يشرب ، ومستر رياتش كان طيبا فقط عندما

---

(\*) فتحة ذات غطاء فى سطح السفينة .

يشرب ، ولم يكن يقترب منى عندما يكون فاتقا من  
الشرب .

استمرت العاصفة والبحارة يقومون بسحب  
الاشرعة ، أو بفتحها . ان عملهم صعب . أما الكوة  
التي في السلوقية ، فلم تعد تفتح مطلقا واصبحت  
سجينا هناك والأيام تمر ببطء .

وجاء في أحد الأيام مستر رياتش ، فأخبرته  
بقصتي ،

**فقال :**

— سأساعدك اذا استطعت ، سأحضر لك قلما  
وورقا وحبرا . . يمكنك أن تكتب لمستر كامبل ومستر  
رانكيلور ، وتحلى بالشجاعة .

قال لي انه كان ابن لورد ، وكان على وشك أن  
يصبح طبيبا ، لكنه لم يوفق في امتحاناته . وبدلا من  
ذلك اشتغل بالبحر ، وسأله عن السبب ، فقال أنه  
يحب اللهو .

## الفصل العاشر

### **القمرة ★**

نزل أحد البحارة في ليلة من الليالي حوالى الساعة  
الحادية عشرة الى السلوقية ليأخذ سترته .

**وهمس :**

— لقد أجهز شوان عليه أخيرا .

عرفنا كلنا معنى ذلك . وفتحت الكوة ثانية ،  
وهبط القبطان هوسيسون السلم ، وألقى بنظرة حادة  
حول المراقد ، ثم جاء الى وقال بصوت وقيق :

(★) حجرة في القسم الخلفى من سطح السفينة .

- اننا نريدك فى القمرة ، ستقوم بالخدمة  
هناك ، ستبادلان الأماكن أنت ورائسوم .

وظهر بحاران فى الكوة .. كانا يحملان رائسوم  
فى اذرعهم .. سقط الضوء على وجه غلام السفينة ،  
فبدا شاحبا ، وعلى شفثيه ابتسامة رهيبة . كنت  
خائفا ، فشهقت وسحبت نفسى بحددة . وعندئذ

**صاح القبطان :**

- هيا الى مركزك الجديد !

فجريت بسرعة ، صاعدا السلم الى السطح .

مازال البحر هائجا والسفينة تتمايل ، واستطعت  
رؤية غروب الشمس من خلال شراع على الجهة اليسرى ..  
أدهشنى ذلك لاننا كنا فى ساعة متأخرة من الليل .  
ثم عرفت أننا نبحر شمالا حول اسكتلندا .

كنا فى عرض البحر بين جزر الاوركنى وجزر  
شتلند ، والرياح ضدنا ، ولما مكثت طويلا فى الظلام ،  
ظننت أننا أصبحنا قرب أمريكا .

ونسيت في الحال موضوع غروب الشمس عندما  
انزلت قدمي بسبب ابتلال سطح السفينة ، وتساندت  
على الحبال ، وعبرت ببطء الى القمرة .

تبرز القمرة ست أقدام فوق ظهر السفينة .  
وينام ويعيش فيها القبطان مع الضابطين ، وهي مليئة  
بخزانات تحوى أغراض الضباط ، وذخيرة السفينة .  
ومعلقة على أحد الجدران جميع بنادق السفينة وبعض  
سيوفها ، حيث كانت أكثر السيوف في مكان آخر من  
السفينة . ويضيء القمرة بالنهار النافذة الصغيرة والمنور  
القابع في السطح ، أما بعد حلول الظلام ، فكان هناك  
مصباح يضيء دائما .

دخلت .. وكان مستر شوان يجلس على المائدة ،  
ومعه زجاجة براندى ، وكأس صغيرة .. كان رجلا  
طويلا قويا داكن اللون ، ولم يلحظ دخولي ، ثم دخل  
بعدي القبطان ، ووقفت تحت المنور ، ولم يحرك مستر  
شوان ساكنا ، وراقبه هوسيسون بوجه عيوس ..  
وبعد قليل دخل مستر رياتش وألقى الى القبطان نظرة  
متحفظة .



صرخ فی مستر شوان « اجلس » !

كانت النظرة تعنى : « مات الغلام » .. ثم ثبت عينيه على مستر شوان .. وفجأة مد مستر شوان يده لياخذ الزجاجاة ، فتحرك مستر رياتش للأمام وسحبها بعيدا ، وألقى بالزجاجاة فى الماء .

قفز مستر شوان واقفا ، متاهبا لجريمة قتل أخرى ، وتدخل القبطان بسرعة بين الرجلين ، **وصرخ فى مستر شوان :**

- اجلس ! ماذا فعلت ؟ هل تدري انك قتلت الغلام .

جلس مستر شوان ، ووضع يده على رأسه ، **وقال :**

- حسن ، لقد أحضر لى كاسا قنطرة .

اندعشنا جميعا ، بل وخفنا عند سماع هذه الكلمات . هل كان مخبولا ؟

ومشى القبطان الى رئيس الضباط وقاده الى مرقد ، وأمره بالرقاد ..

• وخلق مستر شوان حذاءه البحرى بهدوء واطاع  
**وقال مستر رياتش للقبطان :**

— آه ، لماذا لم تتدخل من قبل ؟ لقد فات الاوان  
الآن •

**فقال القبطان :**

— مستر رياتش ، يجب أن لا يعلم أحد بما حدث  
الليلة • سنقول ان الغلام سقط فى البحر •

وارسلنى لأحضر زجاجة براندى أخرى ، وجلس  
الرجلان يشربان •

كانت تلك هى الليلة الأولى لواجباتى الجديدة •  
اعتدت على العمل بسرعة : وهو عبارة عن تقديم وجبات  
الاكل فى ساعات معينة • وكان الطعام بسيطا • • عسيده  
أو لحما مقعدا • كنت لا زلت ضعيفا ، لدرجة أن  
الأطباق كانت تقع منى أحيانا • • ولم يشك القبطان  
ولا مستر رياتش منى ولم يعاقباني ، اعتقد أنهما لم  
يستطيعا نسيان رانسوم • • أما مستر شوان فلم



يتعود على مطلقا . لم يكن عقله صافيا أبدا ، ونسى فورا  
مقتل رائسوم .

ونسى فورا مقتل رائسوم .

وفى أحد الايام وهو معى فى القمرة بمفرده ،  
حذق فى مدة طويلة ، حتى أننى خفت ، ثم سألت :

- أنت لم تكن هنا من قبل ؟

قلت :

- لا ، يا سيدى .

فسأل مرة ثانية :

- كان يوجد غلام آخر ؟

قلت :

- نعم .

فقال :

- أظن هذا .

وجلس وطلب براندى .

لم تكن حياتى صعبة • كنت أكل جيدا ، وأركض طوال اليوم بالمشروبات للضباط ، وأنام فى المساء على الأرض ، التى كانت فراشا جامدا باردا • ولم أستطع نسيان رانسوم بالاضافة الى مشاكل الخاصة •

عملت خادما لهؤلاء الرجال الثلاثة • واحد قتل غلاما والآخران لا أحترمهما ، وقريبا سادخل فى حياة الرقيق • ولم يسمح لى مستر رياتش أن أحدثه عن قصتى مرة ثانية • وعندما حدثت القبطان فيها طردنى •

ومرت الأيام ، وماتت آمالى •

## الفصل الحادى عشر

---

### الرجل ذو الحزام المملوء بالذهب

استمرت العاصفة لعدة أيام . . نبحر مسافة قصيرة أحيانا ، فتضربنا الريح للخلف . وفى اليوم التاسع وصلنا شمال غرب اسكتلندا ، وكنا غير بعيدين عن اليابسة . كان الساحل وعرا ، والصخور ظاهرة فى كل مكان ، توحى بالخطر .

عقد الضباط مناقشة ، اتجهت السفينة بعدها جنوبا لتسير مع الريح . وهذا البحر فى اليوم التالى بعض الشيء ، لكن الضباب الأبيض الكثيف كان يخفى كل شيء ويعدم الرؤية .

سجى الليل ، وعندما كنت أقدم وجبة العشاء ،  
للقبطان ومستتر رياتش ، ارتطمت السفينة بشيء ما  
محدثا اصطداما شديدا ، ثم سمعنا أصوات صراخ ،  
وصاح مستر رياتش :

— لقد ضربنا صخرة :

فقال هوبيسون :

— كلا يا سيدى ، لقد صدمنا زورقا •

كان على صواب ، لقد ضربنا زورقا صغيرا فى  
الضباب انكسر نصفين وغرق ، وفقد جميع من فيه  
أرواحهم ، ما عدا رجلا واحدا ، كان يجلس على مسافة  
من الآخرين • وعندما وقعت الواقعة ، قذفت الضربة  
به الى الهواء ، فقفز فى البحر بمعطفه الطويل !

وأمسك الرجل بقائم السفينة الخشبي الذى يمسك  
الاشرعة ، بالمقدمة ، ونجا • • معنى ذلك أنه كان سريع  
الحركة وقويا ومحظوظا ، ومع ذلك كان هادئا تماما  
عندما أحضره القبطان الى القمرة •

كان جسمه دقيقا متناسقا ، خفيف الحركة ، وله  
وجه صادق ، وعينان رشيقتان .. خلع معطفه ..  
ووضع مسدسين جميلين على المائدة ، ولهما قبضتان  
من الفضة ، وكان يتدلى من حزامه سيف كبير .

كان مؤدبا جدا تجاه القبطان ، وقبل دعوته الى  
الشراب .. انه من النوع الذى يصلح صديقا طيبا ..  
وعدوا رهيبا فى الوقت نفسه .

تفحص القبطان ملابس الغريب .. كانت لديه  
قبعة ذات ريش ، وصدرية حمراء ، وبنطلون أسود من  
قماش فخم ، ويرتدى معطفا أزرق قصيرا له أزرار فضية  
**وقال له القبطان :**

— آسف يا سيدى ، بخصوص الزورق .

**قال الغريب :**

— لقد فقدت فيه بعض الأصدقاء الطيبين .

**قال هوسيسون :**

— لقد كنت فى فرنسا ، يا سيدى .. انك

ترتدى ملابس فرنسية •• أنت تفهم ما أعنيه •

**فقال الغريب :**

— آه !

ووضع يده بسرعة على سيفه ومسدساته •

**وعندئذ قال القبطان :**

— انتظر لحظة • اننى لست « جيمسى » ( \* ) ، حقا ،

لكننى أشفق على رجل فى محنتك •

**قال الجيمسى :**

— حسن يا سيدي ، اننى جنتلمان شريف ،

حاربت لأجل ملوك الستيوارت ( ١ ) ، وكنت فى فرنسا

---

( \* ) الجيمسى ، الستيوارتى : تسميات لأنصار جيمس الثانى

ملك انجلترا أو آل ستيوارت بعد ثورة ١٦٨٨ •

( ١ ) كان ملوك الستيوارت من أصل اسكتلندى • ولم يكونوا

محبوبين ، فانتقل الحكم الى عائلة ملكية أخرى • وحارب بعض الناس

( الجيمسيون أو الستيوارتيون ) لاعادة آل ستيوارت ، ولكنهم

فشلوا •

• وذوو المعاطف الحمراء (١) ليسوا أصدقاء لي • كان المفروض أن تقابلني هنا سفينة فرنسية ، لكنها فقدت طريقها في الضباب • وإذا أخذتني الى فرنسا ، فسأجزل لك العطاء •

— لا يا سيدي ، لا أستطيع أن آخذك الى فرنسا ، لكنني أستطيع أن أنزلك في مكان ما هنا •

عندئذ لاحظني هوسيسون واقفا في ركني ، فأرسلني لأحضر وجبة طعام للجنّتلان •

وعندما عدت رأيت الجيمسي يخلع حزام نقوده ، ووضع بضعة حنيهاث منه فوق المائدة • ونظر القبطان الى الذهب والحزام بعيون شرهة •

**وقال :**

— أعطني نصفها وسأوافق •

أعاد الآخر النقود الى الحزام مرة ثانية ثم لبسه ،

**وقال :**

---

(٢) الجنود الانجليز •

- انها ليست نقودى يا سيدى ، فهى تخص  
رئيسى .. سادفع لك ستين جنيها فقط لانزالى عند  
بحيرة لينه .

**فسال هوسيسون :**

- واذا سلمتك للجنود ؟

**فاجاب القريب :**

- اذا سلمتنى لذوى المعاطف الحمراء ، فستأخذ  
الحكومة النقود ، ولن تحصل أنت على شيء .

**قال القبطان :**

- حقا يا سيدى ، واذا لم أخبرهم عنها ..  
يمكننى الاحتفاظ بها .

**صاح الجنتلمان :**

- اذا لم تخبرهم يا سيدى ، فساقوم انا بذلك .

**قال القبطان :**

- حسن اذن .. اوافق .. سأنزلك مقابل  
ستين جنيها فقط . وتصافح الرجلان ، وغادر القبطان  
القمرة .



## الفصل الثاني عشر

### انضمامي للغريب

أخذت أنظر للغريب باهتمام .. لم أر « جيمسى »  
من قبل .. كان معظم هؤلاء الرجال ثوارا من هايلاند .  
قاموا بالحرب ضد الملك جورج وحكومته .. والآن  
أصبحت حياتهم غير آمنة فى اسكتلندا . فالتحق بعضهم  
بجيش ملك فرنسا . ويرجع هؤلاء الثوار أحيانا الى  
هايلاند ، ليجمعوا المال لرؤسائهم . أتيت بالطعام أمامه  
**وقلت :**

— انت جيمسى ، اليس كذلك ؟

قال :

- بلى ، انا كذلك .. واثنت - بوجهك الطويل -  
هويجي (\*) ؟

انا فى الحقيقة هويجي ايضا ، ومخلص للملك  
جورج ، لكنى كنت أخشى المشاجرة مع هذا الرجل ،  
لذلك أجبت :

- نصف نصف .

قال :

- حسن ، يا مستر نصف نصف ، هذه  
الزجاجة ، فارغة .

قلت :

- سأذهب للبحث عن المفتاح .. وخرجت الى  
السطح .

كان الضباب لا يزال كثيفا ، فلم أستطع أن أرى

---

(\*) عضو فى حزب انجليزى مؤيد للإصلاح ، عرف فيما بعد  
بحزب الأحرار .

أى انسان ، لكنى سمعت أصواتا .. كان القبطان  
والضابطان يتهايمسون .. وقال مستر رياتش مستفسرا:

- هل يمكن أن نخرجه من القمرة ؟

قال القبطان :

- كلا ، دعه يبقى هناك .. فلن يستطيع  
استخدام سيفه فى ذلك الحيز الضيق .

- نعم ، لكن كيف نقبض عليه ؟

قال هوميسون :

- أوه ، نبدأ حوارا معه ، ثم نستولى على  
أسلحته ونسجنه .. يمكننا أن نهجم عليه من البابين  
ونفاجئه .

لقد ملئت بالخوف عندما سمعت هؤلاء الأشرار  
الوحوش .. ألم يتعهد القبطان للمغريب من قليل ؟  
والآن ينقلب لهذه الحادثة القذرة ! ماذا عساي أن  
أعمل ؟ أهرب ؟ لا .. تحركت للأمام ..

**وقلت :**

- أيها القبطان ، يريد الجنتلمان شرابا .. هل لي أن آخذ المفتاح ؟

**فصاح رباتش :**

- هذه فرصتنا ! ديفيد .. يحصل على المسدسات .

**قال القبطان :**

- نعم ، هذا الهايلاندى المتوحش خطر على السفينة يا ديفيد . انه عدو للملك جورج .. ونحتاج لبنادقنا وذخيرتنا من القمرة . اذا أحضرت لنا بعضها بهدوء سأساعدك فى أمريكا .. ستحتاج الى صديق هناك .. وسنمطيك بعض نقود هذا الهايلاندى الكثيرة .

اعطانى المفتاح ورجعت ببطة الى القمرة . ماذا أفعل ؟ .. كانوا كلابا ولصوصا .. لقد سرقونى فى بلدى .. قتلوا رانسوم المسكين .. أوجب أن أساعد فى جريمة قتل أخرى ؟!

لكن ماذا يمكن لصبي ورجل فقط أن يفعلوا ضد  
البحارة كلهم ؟

كان الجيمسى يأكل وجبته تحت المصباح .. نظرت  
إليه ، وعقدت العزم فجأة .. فاقتربت منه ، ووضعت  
يدي على كتفه .. وقلت :

- انهم قادمون ليقتلوك .. لقد قتلوا غلاما من  
قبل .. والآن دورك أنت .  
فقفز واقفا على قدميه ..

**وقال :**

- حسن ، انهم لم ينالوني بعد .

ثم نظر الى مباشرة . **وقال :**

- هل ستقف بجانبى ؟

**صعقت :**

- سأقف بجانبك ! اننى لست لصا ، ولن  
اقترب جريمة القتل .. سأقف بجانبك .

**قال :**

- حسن اذن ، ما اسمك ؟

**اجبت :**

- ديفيد بالفور ثم اضيفت « من شوز » ..  
ظننت أنه كجنتلمان ذى ملابس رائعة . سيحب علبة  
القوم ، لكن ذلك لم يرضه وقال وفى عينيه نظرة  
فخر :

- ان اسمى اسم ستيوارتى ، ويدعوننى الن  
بريك .. ليس لدى اراض ملكى .. لكنى أحمل اسم  
ملك .

واستدار بخفة ليتفحص الحجرة . كان للقمرة  
بابان ، احدهما كان مفتوحا ، وذهبت مسرعا لأغلقه .

**فقال الن :**

- لا يا ديفيد .. اذا كان أحد البابين مفتوحا ،  
فسياتون منه ، وسأرى أعدائى أمامى .. هذا أفضل ..



اعطاني سيما من السيوف المعلقة على الجدار

وأعطاني سيفاً من المعلقين على الجدار ، وقال أنه  
سيشحن المسدسين بالبارود ، ثم سحب سيفه الكبير ،  
ولوح به الى اعلى والى أسفل ..

**وقال :**

- الغرفة صغيرة جداً .. يمكننى استخدام طرف  
السيف فقط للأسف . والآن أصغ الى ..  
فقلت اننى مصغ .. واحسست بصدرى ضيقاً ،  
وبفمى جافاً ، وبقلبى يئن بصعوبة .. خيل الى اننى  
ساموت .

**وسألنى :**

- كم عدد الذين ضدنا ؟  
عددت فى سرى ..

**ثم قلت :**

- خمسة عشر !

**قال :**

- حسن ، انهم يكفون ! .. سأدافع عن الباب



المفتوح ، فلا تصوب في هذا الاتجاه ، لأنك ستصيبني .

**قلت :**

– الباب الآخر خلفك .

**قال الن :**

– نعم ، عليك بمراقبته . تسلق فوق المرقد بجوار النافذة ، وأطلق النار فوراً إذا هاجموا هذا الباب .

**قلت :**

– لا تنس المتور أيضاً . لا أستطيع أن أراقبه مع الباب .

**فقال الن :**

– صحيح ، لكن اليس لك أذنان في رأسك ؟

**قلت :**

– طبعاً ، سأسمع صوت كسر الزجاج .

**فاردف الن قائلاً :**

– انك تستخدم عقلك الآن . . !

## الفصل الثالث عشر

### الهجوم على القمرة

أنهى الن كلماته تلك ، عندما ظهر وجه القبطان عند الباب المفتوح . . لقد انتظرني مدة طويلة ، لذا كان غاضبا . فصاح الن موجها السيف نحوه :

— قف !

وقف القبطان ساكنا ، لكنه لم يبد أى خوف .

**وقال :**

— سيف ! هذا مقابل عجيب لترحيبى بك .

## فقال الن :

- ناد على رجالك واحجم يا سيدي .. فساغمد  
هذا السيف في جسدك . لقد قتلت به هويجيون من  
قبل .

لم يقل القبطان شيئا لالن ، لكنه رمانى بنظرة  
مروعة .

## وقال :

- ديفيد ، سأذكر لك هذا .

جعد صوته دمي وفي اللحظة التالية لذهابه .

## قال الن :

- والآن استعد .. فالمعركة متبدا حالا .

وأمسك بنخجر هايلاندي في يده اليسرى وبسيفه  
في يده اليمنى تسلقت فوق المرقد ومعى بعض  
المسدسات .. وفتحت النافذة الصغيرة وأخلت  
أراقب . كان قلبي ثقيلًا ، وليس لدى أى أمل ..

## وفكوت :

- قبل الصباح ، ساكون فى تعداد الأموات ،  
لكن قبل ذلك سأحارب من أجل حياتى • ودعوت الله ،  
وانتظرت ••

سمعنا صوت صاصلة الصلب فوق ظهر  
السفينة ، انهم يعطون البحارة سيوفهم ، ثم عاد السكون  
مرة أخرى •

وفجأة سمعنا صوت أقدام ، وصيحة ، وضربات ،  
وشخصا يصرخ •• ونظرت من فوق كفى ، فرايت  
الن ومستر شوان يتحاربان عند الباب المفتوح ••

## فصرخت :

- هذا هو الرجل الذى قتل الغلام !  
فأجاب الن وهو يمرر سيفه عبر جسد الضابط :  
- راقب نافذتك !

عندما أدت رأسى نحو نافذتى •• ركض خمسة  
رجال يحملون قطعة خشب ثقيلة ضخمة ، وضربوا بها

الباب الذى بجانبى .. لم أطلق مسدسا فى حياتى ..  
ولم أستخدم بندقية مطلقا ضد انسان ، والآن ، على  
أن أقوم بذلك ..

**وصرخت :**

— خذوا هذه !!

وأطلقت النار فى وسطهم ، أطلق أحدهم بعدها  
صرخة .. لقد أصبته ، وتوقف الباقيون . ثم أطلقت  
النار مرتين .. فأسقط الرجال الحشبة وركضوا  
بعيدا .. نظرت مرة أخرى نحو الن ، فوجدت الدم  
يسيل من سيفه ، ويرقد أمامه مستر شوان على الأرض  
بوجهه الشاحب ، ثم سحبه بعض البحارة الى الخارج ،  
ومات عندما أخذوا يحركونه .

**وسال الن :**

— هل أصبت أحدا ؟

فأخبرته بأنى أصبت أحدهم فى ذراعه ، وأعتقد  
أنه القبطان ، فقال :

- لقد قتلت اثنين .. لا يكفي .. سيمودون  
ثانية .. راقب النافذة يا ديفيد !

شحنتم مسدساتي ثانية وأنا أسمع مجادلة  
اعدائنا في الظلام ، ثم سمعت صوتا يعطى بعض  
الأوامر ، وانتظرونا ..

لم تكن العملية سهلة ، وليس لدى وقت للخوف  
أثناء القتال . أذكر الآن بكل فزع السيوف الحادة ،  
والصلب البارد .

سمعت خطوات هادئة تقترب في الظلام ، وسمعت  
أجساد البحارة تلامس جدار القمرة ، وشخصا يتحرك  
على السطح من فوقى ، ثم انطلق نداء ، واندفعت  
مجموعة من البحارة بفتة نحو باب الن ، وفي هذه  
الأناء تكسر زجاج المنور الى قطع صغيرة ، وقفز رجل  
من خلاله على الأرض ، فدفعت بمسدسى فى ظهره ،  
ولم أطلق عليه النار فى البداية حيث لم أجد الجراءة  
لفعل ذلك ، واستدار بسرعة وهو يلعن ، وانقض على ،  
فاطلقت صرخة مدوية وأطلقت النار على جسده ثم

شعرت بقدوم على رأسى • وكان رجلا ثانياً آتياً من  
المنور ، فقبضت على مئسرة آخر وأطلقت النار على  
ساقه ، فسقط فوق رفيقه • • وأخذت أنظر إليهما  
برعب •

سمعت الن يصرخ ، فعدت الى صوابى • • كان  
أحد البحارة قد أمسكه وطوق جسمه ، وأخذ الن يهوى  
عليه بخنجره • • ورأيت رجلا ضخماً رافعا سيفه كما  
رأيت كثيرين غيره عند الباب ، فظننت أننا خسروا  
المعركة !

أمسكت بسيفى وهاجمتهم من الخلف ، فسقط  
الرجل الأول الى الأرض ثم قفز الن متراجعا واندفع  
نحو الآخرين ، فاستداروا وركضوا هاربين • • وأخذ  
سيف الن يبرق فى يده المرة تلو الأخرى ، وفى كل  
مرة كان يصيب رجلا •

وفجأة ذهبوا جميعهم • كان الن يسوقهم كالأغنام  
على طول السطح ، وسمعناهم يسقطون فى السلوقية ،  
ويطلقون الكوة من فوقهم • • وانتهت المعركة !

## الفصل الرابع عشر

### أغنية الن

عاد الن بسرعة .. كان فى القمرة ثلاثة رجال  
قتلى ، وآخر عند الباب .. لقد هزمنا نحن الاثنين ..  
الن وأنا العدو .. ولم نصيب بسوء .. وجاءنى بذراعين  
مفتوحتين .. قائلا :

- ديفيد .. اننى احبك كاخ لى .. وآه !  
يا رجل .. ألم احارب جيدا ؟

واستدار .. ومرر سيفه عبر الأعداء الأربعة ..  
ثم دفع بأجسادهم خارج الباب .. وجلس على المائدة ،  
لكن سيفه مازال فى يده .



كان وجهه مشرقا .. وسعيدا .. وأخذ يدندن  
بالحان قصيرة ويتوقف ، ثم يبدأ مرة ثانية . حاول  
اللحن مرات عديدة .. كان يقوم بوضع أغنية  
كلمات ، وموسيقى .. كانت عن القتال .

وفي النهاية ، اختتم اللحن في رأسه وشعشم  
بغناؤه .. وأخذ يغنى أغنية بصوت مرتفع باللغة  
الغيلية (\*) . أصبحت بعد ذلك أغنية غيلية مشهورة .  
سمعتها مرات ومرات .

لا أستطيع ترجمة الشعر ، لكنى ترجمت الكلمات  
الى الانجليزية البسيطة :

هذه هي أغنية سيف الن ..

الحداد صنعه ..

والنار صهرته ..

ويتالق الآن في يد الن بريك ..

كانت عبونهم كثيرة ونيرة ..

---

(\*) لغة السلتين في ايرلندا والمرتفعات الاسكتلندية .

بسرعة اتوا  
 أياد كثيرة وجهوها ..  
 والسيف كان بمفرده ..  
 مر الغزال البنى فوق التل ..  
 هم كثيرون ، والتل واحد ..  
 ذهب الغزال البنى للأبد ..  
 والتل بقى ..  
 تعالى يا نسور من التلال ..  
 من جزر البحر ..  
 أيتها النسور الشامخة ، انظري ..  
 ها هنا طعامك .. !!

لم تكن أغنية ألن عادلة تماما ازائى ، لأنه لم  
 يكن بمفرده ، فلقد قتلت رجلين ، وجرحت القبطان ،  
 ولكن الشعر ليس سهلا ، فربما الكلمات لا تتطابق .  
 واخذ فيما بعد يمدحنى لمساعدتى الكريمة .  
 لم أفهم الكلمات عندما كان يغنيها ، فلم أكن  
 أعرف أى كلمة من اللغة الغيلية ، ولم تكن تهمنى ..

وبعد الانتظار الطويل والمركتين العنيفتين كنت متعبا ،  
فسقطت على المقعد ، أحس بصدرى ضيقا وتنفسى  
بطيئا ، وكلما تذكرت اننى اطلقت النار على رجلين  
كنت أصاب بالغثيان ..

### وفجأة صرخت كالطفل !

لمس الن كتنفى ، وقال اننى كنت ولدا شجاعا ..  
وكننت انا فى حاجة الى النوم ..

### فقال :

— سأقوم بالمراقبة أولا ، لقد أبليت بلاء حسنا  
يا ديفيد .. انك عزيز جدا عنلى .

ورقدت ، وجلس الن مع سيفه ومسدسه ، وبعد  
ثلاث ساعات أيقظنى وقمت بالمراقبة ..

لم يحدث أى شئ ، ولم يهجم البحارة مرة  
أخرى . وعندما جاء الصباح كان البحر هادئا ، لكن  
السما كانت تمطر ، والطيور تصيح حول السفينة ،  
فعرفت أننا قريبون من الأرض .. وعندما نظرت من  
القمرة رأيتها .. رأيت تلال سكاي الحجرية الضخمة  
فى الجهة اليمنى ، وخلفها بقليل جزيرة روم الصغيرة  
العجيبة .. !

## الفصل الخامس عشر

### القيطان يعقد سلاما

تناولنا الافطار في الساعة السادسة ، فلدينا  
في مخازن القمرة أفضل الطعام والشراب بجميع  
انواعه • كنا رفيقين طيبين .. وعندما كنا ناكل ،  
اخذ الن سكيننا من على المائدة ، وقطع أحد الأزرار  
الفضية من معطفه ..

#### وقال :

- احتفظ بهذا ، لتتذكر عملا آخر هذه الليلة •  
واذا أظهرت هذا الزر في أى مكان ، فسوف يحيط بك  
اصدقاء الن بريك •  
كان يتكلم كملك .. لقد أعجبت بشجاعته

جدا ، لكنه كان مختالا أيضا ، فأخفيت ابتسامتي ،  
لأننى لم أكن أرغب فى شجار • وبعد الأكل ، وجد  
الن فرشاة تنظيف الملابس فى خزانة القبطان ، فخلع  
معطفه وأخذ ينظفه ، ثم أخذ ينظف بنطلونه من الآثار  
التي عليه •

كان مزهوا بملابسه الأنيقة ، ومع ذلك فلقد خلع  
زرا وأتلف معطفه من أجل • • وعندما فهمت ذلك • •  
أدركت قيمة هديته أكثر •

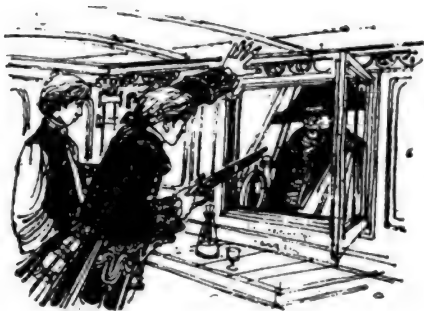
كان لا يزال ينظف ملابسه عندما ناداه مستر  
رياتش من السطح • تسالقت عبر المنور ، ونظرت  
إليه ، لم يكن مجروحا • • مجرد خدش صغير على  
وجهه ، ولا أعتقد أنه جارب كثيرا • وكان متعبا لأنه  
قام بتحريض الرجال أثناء الليل • •

**وقال :**

— ان هذا القتال شيء سيء •

**فاجبت :**

— لم تكن غلطتنا •



صوب الن مسلسلہ نحو وجہ

قال :

— هل يستطيع القبطان أن يكلم صديقك ؟

فسالت :

— أهي خدعة أخرى .

فاجاب :

— لا يا ديفيد ، فالبخارة لن يحاربوا الآن ،  
ليس لديهم الشجاعة ، ولن أحارب أنا أيضا .

أعطيت الرسالة الآن فوافق .. ثم ذكرني مستر  
رياتش بأنه كان كريما معي ، وطلب متوسلا شرابا ،  
فأعطيته كأسا من البراندى ، فشرب بعضها ، وأخذ  
الباقى الى السطح .

جاء القبطان للنافذة ووقف هناك تحت المطر بوجه  
شاحب عجوز ، لم يكن يقدر على استخدام احدى  
ذراعيه ، فصبوب الن مسلسه نحو وجهه ..

### فقال القبطان :

— ارفع هذا الشيء ! ألم أعطك وعدى يا سيدى ؟  
هل أنت تهيننى ؟

### فأالت الن :

— يا قبطان ، لقد أعطيتنى وعدا فى الليلة  
الماضية ، فماذا حدث ؟

### فقال هوسيسون :

— لقد اتلفت سفينتى ، وليس لدى رجال كافون  
من أجل الرحلة حاليا . كما استقبل ضابطى الأول  
سيفك عبر جسده . يجب أن اذهب الى ميناء لاهل  
على بحارة أكثر . وهناك سيتكلم معك أحد من  
الحكومة .

### فقال الن :

— أوه : سأتكلم أنا أيضا . . لدى قصة طيبة . .  
خمسة عشر رجلا فى جانب ورجل وغلام فى جانب  
آخر . . انه لعار ! سيسخر منك الناس .



فاحمر وجه هوسيسون ..

ثم اردف الن قائلا :

— كلا ، عليك أن تنزلنى عند بحيرة لينه !

فقال هوسيسون :

— لقد مات ضابطى الاول ، ولا أحد منا يعرف

هذا الساحل ، وليس لدى خريطة .. نحن لا نبحر

عادة فى هذا الطريق .. كنا ذاهبين غربا لأمريكا ،

لكن الريح جعلتنا ننحرف جنوبا .. من سيقود

السفينة ؟

قال الن :

— حسن جدا ، انزلنى فى أى مكان قرب بلدى

هايلاند .. لكن ليس بالقرب من آل كامبل .. واذا لم

تقدر على ذلك فأنت بحار سيء ..

فقال القبطان :

— سيكلفك هذا مالا يا سيدى ..

فاجاب الن :

— سأدفع لك ستين جنيها ، قلت ذلك من قبل !

### قال القبطان :

— هناك خطر على السفينة ، وعلينا كلنا • هل  
تستطيع أن تقودنا ؟

### اجاب الن :

— اننى لست بحارا ، ولكنى سافرت كثيرا على  
طول هذا الساحل ، وأعرف القليل عنه •

### قال هوسيسون :

— حسن جدا ، سأحاول ، لكن الريح تهب ،  
فاذا قابلنا سفينة من سفن الملك فقد يصعد الضباط  
للسفينة ، ولا تلومنى اذا فعلوا ذلك •

### اجاب الن :

— اذا رأيت سفينة ملكية فعليك أن تهرب •  
والآن أقدم لك زجاجة براندى ونعطيها لكم مقابل  
جردين من الماء !

ووافق القبطان • • حصلنا على الماء فحصلنا الدم  
والزجاج ، وحصل القبطان ومستتر رياتش على شرابهما •

## الفصل السادس عشر

### الستيوارتيون والكامبليون

هبّت الريح وأبحرنا فاشددين موطن الن ..  
واشرقت الشمس في الصباح ومررنا بجزر كثيرة ..  
وجلسنا أنا والن في القمرة جلسة استرخاء .. ودخنا  
غليوننا من تبغ القبطان الفاخر .

وعندما أخبرته بقصة مشاكل أنصت كصديق  
مخلص ، ولكن عندما تكلمت عن مستر كامبل ،  
القس ، غضب .

**فقلت :**

— لماذا يا الن ؟ لماذا لا تحب الكامبليين .

## فاجاب :

- حسن ، انت تعلم .. فانا ستيوارتى من  
ابن .. والكامبليون اعداؤنا منذ سنين وكثيرا ما  
هاجمونا ، وسرقوا منا ، واخذوا اراضينا ، لكن ليس  
بالسيف مطلقا ، ولا فى قتال عادل ابدا .

## وصرخ بصوت مرتفع مضيفا :

- فقط بالخدع والكلمات المزيفة ، ويدعون انهم  
حصلوا عليها بالقانون . وهم يكذبون ! عليهم اللعنة  
جميعا !

لم اصلق كل كلمة قالها ، لكنى لم اخبره .  
كنت اعرف أن الهايلاندين دائمو القتال والعراك بين  
انفسهم .

## وقلت له :

- اخبرنى قصتك .

## قال :

- كان أبى جنديا فى الحرس الاسود (\*) . كان

---

(\*) فرقة من الجنود من اسكتلندا مشهورة فى الجيش

الانجليزى .

مشهورا بفن السيف ، فعلمه لى • لم يقتصد أى مال  
مطلقا ، وبعد وفاته التحقت بذوى المعاطف الحمراء •

قلت :

— ماذا : هل كنت فى الجيش الانجليزى ؟

قال الن :

— نعم ، لكنى هربت وتحولت الى الجانب

الهيلاندى •

اعرف ان الهروب ضد القانون ، وانه  
جرم فظيع لآى جندى ، لكن لم اقل ذلك ، لآنى لا أريد  
ان اتشاجر مع صديقى •

قلت :

— لكن يا الن ، عقاب الهارب هو الموت •

قال :

— نعم ، فانا خارج عن القانون ، واذا أسرونى

فسيشتقوننى •

فصرخت :

— يا للهول • انت هارب ، واثار ، وخارج عن

القانون ، وخادم للملك فرنسا • لماذا رجعت لهذا البلد ؟  
 - حسن ، لقد افتقدت أصدقائي ، وبلدي ••  
 فرنسيا مكان رائع ، لكنني افتقدت شجيرات الخلدج (\*) .  
 والخرلان •• كما لدى بعض الأعمال في هايلاند •  
 وأحيانا أحصل على بعض الشباب من هنا ليعملوا في  
 الجيش الفرنسي • لكن أهم شيء هي أعمال اردشيل •  
 فهو رئيس عشيرتي •

### واستمر قائلا :

- عندما هزم الانجليز جميع عشائر الهايلاندين ،  
 هرب اردشيل الى فرنسا ، واستولت الحكومة على جميع  
 أراضيه في أبين ، وطالبت المستأجرين بالايجارات •  
 وقام الثعلب الأحمر - عليه اللعنة - بجباية المال  
 للحكومة من المستأجرين •

### سالت :

- من هو الثعلب الأحمر ؟

---

(\*) شجيرات تنمو في كتل كثيفة ، لها أوراق صغيرة دائمة  
 الخضرة ولها عناقيد من الزهور الصغيرة البنفسجية اللون •

- انه كامبلي .. رجل ذو شعر احمر .. آه ..  
لو أستطيع ان أقتله !

كانت نظرتة متوحشة وهو يبين عن أسنانه ..  
ثم انصاف :

- اما رجال أبين - الستيوارتيون والماكوليون  
والمكروبيون فهم مساكين فقراء ، لكنهم يدفعون ايجارا  
ثانيا لرئيس عشيرتهم كل سنة . واحمل انا هذا المال  
اليه في فرنسا .

صرخت :

- ماذا ! يدفعون ايجارين ؟

- نعم يا ديفيد ، فجيمس ستيوارت يجمع المال  
في هايلاند . انه قريبى وكان صديقا لابي .

فصحت :

- اعتقد ان هذا موقف نبيل .. فانا هويجى  
ومخلص للملك جورج لكنى معجب بهم ، فهم كرماء .

**فقال :**

— نعم ، أنت هويجي ، لكنك جنتلمان ولست  
مثل الكامبليين ! ولا مثل الثعلب الأحمر .  
كان وجهه عابسا متجهما ..

**ثم اردف قائلا :**

— والآن ، سمع كولن كامبل بقصة المستأجرين  
وأنهم يدفعون ايجارا ثانيا لزعيمهم ، فأحضر الأوراق  
والمحاميين وذوى المصاطف المسرا . وجاء الى أبين  
ليطردهم من بيوتهم .. ساصطاده في يوم ما ، وأطلق  
عليه النار .

**قلت :**

— الن ، هذا ليس من الحكمة ، فأنت تتكلم دون  
جدوى . فكل هذه الكلمات الغاضبة لن تسبب أى  
أذى للثعلب الأحمر .. أترك عقابه لله سبحانه .

**قال :**

— آه ، طبعا ، فمدرسك كان كامبلي .



### اضلعت :

- علاوة على ذلك ، اذا أتى هذا الكامبلى بالمحاميين والجنود ، فهى أوامر الحكومة ، انها ليست غلطته ، واذا قتلتها فسيحل محله رجل آخر .

### قال الن :

- انك رائع فى القتال ، لكن فيك دم هويجى .  
كان صوته حنونا وفى نفس الوقت غاضبا ، ولم أزد عن الثعلب الأحمر كلمة أخرى .

### وسالت :

- كيف تأتى وتذهب كل مرة ؟ .. فهناك فرق للجنود فى هايلاند .

### فاجاب :

- حسن ، فالجنود لا يمكن أن يوجدوا فى كل مكان ، واذا رأيت جنديا فى طريق ، أسلك طريقا آخر ، واختبئ فى شجيرات الخننج ، أو فى بيت صديق .

علمت أشياء أخرى عن صديقي . . انه كان مشهورا في هايلاند بموسيقاه وشعره ، وكان يقرأ الفرنسية والانجليزية ، كما انه كان خبيرا بالسيف القصير والسيف الطويل ، كما هو خبير بالبندقية .  
أما عيوبه فقد عرفتها من قبل فقد كان مزهوا بنفسه وبملابسه ، يتشاجر بسهولة ، وهو كالطفل ، وهذه أسوأ خصاله . لكنه كان يتذكر المعركة التي دارت في القمرة ، ولم يحق على أبدا ، هل لأنه كان يحترم شجاعتي ؟ أم لأنني شاهدت أعماله الباسلة ؟ . . لا أعرف ، انه يحب الشجاعة في أى شخص ، لكنه يعجب بها أيما اعجاب فى النى بريك !

## الفصل السابع عشر

### السفينة تفرق

فى وقت متأخر فى المساء طل هوميسون برأسه  
داخل باب القمرة ..  
وقال :

- هيه ، تعال .. انظر ما يحدث .

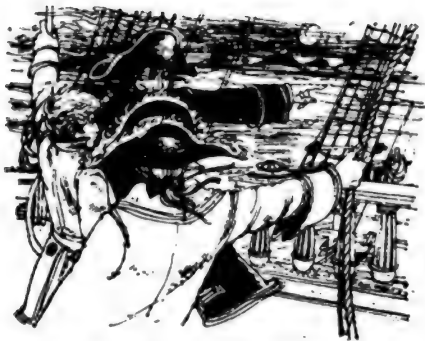
فسال الن :

- هل هذه مكينة أخرى ؟

صرخ القبطان :

- لا تضيق الوقت ! سفينتى فى خطر !

رأينا أنه جاد ، فخطوت أنا والن الى ظهر



اشار القبطان بجنوب الى صف من الصغور

السفينة ، كان الجو باردا والرياح تهب بشدة . والقمر  
بدرا ، وكانت السفينة تبحر بسرعة تاركة الساحل  
الغربي لجزيرة مول ، وارتفعت فجأة فوق موجة عاتية .  
أشار القبطان بجنون الى صف من الصخور يتكسر  
البحر فوقها الى أمواج بيضاء . وتظهر بعد مسافة  
قريبة صخور أكثر .

**قال هوسيسون :**

- اسمع ! اننى لم أكن أعلم بأمر هذه الصخور ،  
هل منها الكثير ؟

**فاجاب الن :**

- سيدى ، لست بحارا . . . أعتقد يوجد عشرة  
أميال منها .

نظر القبطان الى مستر رياتش كما نظر مستر  
رياتش الى القبطان . . . الذى قال :

- لو كان مستر شوان هنا ! كان سيعرف  
الطريق خلالها ، اليس كذلك ؟

**فاجاب الن :**

— لست ادرى ، لكنى اذكر شيئا • انها اروق  
بالقرب من اليابسة •

كان هناك ثلاثة بحارة فقط على السطح بجانب  
الضباط ، فمعظم الآخرين كانوا مصابين •

وارسل القبطان مستر رياتش ليصعد بين  
الاشرعة ليتفحص الساحل •

**فصرح بعد فترة قائلا :**

— انها اروق بجوار اليابسة •

**ثم قال هوسيسون لاكن :**

— حسن يا سيدي ، سنحاول طريقك ، وادعو  
الله أن تكون على صواب •

**فقال الن :**

— انى ادعو الله ، لكنى لست متاكدا •

ابحرنا تجاه الطرف الجنوبي الغربى لجزيرة مول ،  
ورايها الصخور قابضة فى دربنا • واحيانا كان مستر

ريأتش ينادى على القبطان .. انحرقت السفينة بعد ذلك ومالت بجانبها بسرعة فى خطر مباغت .. كان وجه هوسيسون صارما صلبا كالصلب نفسه ، وهو واقف بجوار رجل الدفة .. لم يكن قد أظهر شجاعة كافية فى القتال ، لا هو ولا مستر ريأتش .. اما الآن ، فأراهم شجعانا فى عملهم ، فاحترمتهم لذلك ، خاصة عندما رأيت وجه ألن الشاحب .. وهو يقول :

— أوه ، ديفيد هذه ليست موتى !

قلت :

— ما بك يا ألن ، هل أنت خائف ؟

قال :

— لا ، لكنها ميتة باردة !

مازال البحر هائجا ، ونادى مستر ريأتش مرة أخرى وقال بأنه يرى مياها صافية أمامنا .. فقال هوسيسون لألن :

- كنت على صواب • لقد انقذت السفينة  
يا سيدى •

وفجأة صرخ مستر رياتش :

- صخرة عن يميننا •

وفى نفس اللحظة ، اسقطت الريح الأشرعة ،  
فاستدارت السفينة بشدة واصططمت بالصخرة ،  
وسقطنا جميعا على ظهر السفينة •

وقفت على قدمي بعد لحظات • وبين لى ضوء  
القمر أن الصخرة كانت قريبة من جزيرة صغيرة •

تكسرت الأمواج فوق السفينة المسكينة وضربتها  
فى الصخرة ، فأخذت تتهشم الى قطع ، وامتلات أذاننا  
بضوضاء الأشرعة ، وصوت الريح ، وصرخات الرجال  
المصابين فى السلوقية •

حاول مستر رياتش والبحارة رفع الزورق ،  
فركضت لمساعدتهم • ولم يتحرك القبطان ، كان ممسكا  
بالحبال الرئيسية ، ويصيح فى كل مرة ترتطم فيها



السفينة بالصخرة • فالكوفينانت له بمثابة الزوجة والولد • لقد ترك مستر شوان يفعل ما يفعل في رانسوم ، لكنه لم يكن يحتفل البحر القاسى على السفينة • نظرت عبر الشاطئ ••

وسالت الن :

— ما هذه الأرض ؟

فاجاب :

— انها أسوأ أرض بالنسبة لى •• انها أرض الكامبليين !

لقد دفعنا الزورق الى جانب السفينة ••  
عندما صرخ بحار فجأة قائلا :

— توقفوا بحق السماء •

وجاءت موجة مهولة رفعت السفينة الى أعلى ثم قلبتها ، وقرعتنى فى البحر •

هبطت الى أسفل وشربت ماء كثيرا ، وعلت الى أعلى ثم هبطت ثانية • أخذت الأمواج تضربنى وترمينى من عل ، ثم غطتنى مرة أخرى ، وسحبتنى مسافة



خضت في الماء.

هائلة • وفى النهاية وجدت نفسى متعلقا فى شئ •  
انه قائم خشبى من أشعة السفينة ، ثم طفوت فوق ماء  
هادى •

وأصبحت بعيدا عن السفينة ، فصرخت ولم  
يسمعنى أحد •

كانت الجزيرة الصغيرة قريبة ، استطعت أن أرى  
الصخور وشجيرات الخنج التى عليها • أردت أن أصل  
إليها ، ولكنى لم أكن أستطيع السباحة جيدا ، فتعلقت  
بالقائم الخشبى بكلتا ذراعى ، ورفضت الماء بقدمى •  
وهكذا أخذت أتحرك فوق الماء • كان عملا شاقا ، لكن  
بعد ساعة وصلت الى خليج صغير •

كان مكانا موحشا ، لكنى كنت محتنا لله •  
ولاحظت ان المياه أقل عمقا هنا ، فبدأت أخوضها ميمما  
نحو الشاطئ • ١٠٠

## الفصل الثامن عشر

### الجزيرة الصغيرة

بدأ أسوأ جزء من مغامراتي عندما خضت الى الشاطئ . . أخفت أسير جيئة وذهابا على الرمال لأدنى نفسى ، وكان الليل فى منتصفه . . ولا يوجد صوت لائنسان أو لماشية . . هناك فقط صوت الأمواج وهى تتكسر على صخور الشاطئ . .

ولما جاء النهار ، تسلقت اقرب تل ، ونظرت من حولي . لم ار أى علامة للسفينة أو للزورق . . ترى أين رفاقى فى السفينة ؟ لا يوجد أى شراع فى المحيط ؛ ولا بناء ولا انسان على اليابسة . . ملابسى مبتلة ومعدتى خاوية . . وبدأت أمشى على الساحل لأتفحص

المكان ، الى أن توقفت عند جدول ماء يجرى متوغلا في  
اليابسة ، واستدريت ومشيت جهة الداخل متتبعا له .  
وبدلا من أن ينتهى ، اذا به يتسع أكثر ، وأكثر ..  
وفجأة فهمت أنه ليس بجدول ماء حقيقى ، انها جزيرة  
صغيرة خاوية ، والبحر المالح حول من كل مكان .

لم أستطع الخوض عبر الجدول ، فالماء كان  
عميقا .. وفكرت فى الدعامة الخشبية التى استخدمتها  
فى وصولى لليابسة .. يمكنها أن تساعدنى مرة ثانية .  
مشيت راجعا عبر قمة الجزيرة الصغيرة ، ووصلت  
مرة أخرى للخليج الصغير ، لكن الدعامة لم تكن  
موجودة . لقد طفت وسحبها البحر ، ولا أستطيع  
الوصول اليها . وشعرت بالياس التام .

كان وقتا عصيبا ، لا أحب أن أتذكره . لم يكن  
معى فى جيوبى الا النقود وذر الن . لقد عشت سنوات  
عصرى فى الرصف ، وليس لدى أى خبرة بالجزر أو  
البحر . ماذا كان يمكننى عمله ؟

وجدت بعض القواقع ، وكنت جوعان جدا لدرجة

أننى أكلتها ، ولأنها نيئة جعلتنى أشعر بالغثيان فى  
الحال ، لكننى أكلت منها أكثر ، فلا يوجد شئ آخر •  
كانت السماء تمطر طوال النهار ، ولا يوجد ما أحتسى  
تحتة •• وفى المساء رقت بين الصخور ، وقدمائى  
متدليتان فى الماء المالح •

وفى اليوم التالى ، عبرت الجزيرة مرة ثانية •  
كانت كلها عبارة عن صخرة واحدة ، وكانت الطيور  
تطير حولى ، لكن لم أستطع الإمساك بأى منها ، فليس  
لدى بندقية • وأخذت أبحث عن ملتجأ أحتسى فيه ،  
فلم أجد غير طلل من الأطلال •• عبارة عن بناء صغير  
بلا سطح •

ونظرت فى الجهة المقابلة ، الى ساحل اسكتلندا ،  
فرايت منازل وكنيسة قديمة كبيرة • يجب أن أموت  
هنا وحيدا ، وبالقرب من بلدى ؟

كانت السماء ما تزال تمطر ، وحلقى شديد  
الالتهاب ، فتمت مرة ثانية فى مكان مبتل •

وفى الصباح الثالث رايت غزالا أحمر واقفا على

التل ، وعندما تحركت اختفى . كان قد سبح من  
الساحل الرئيسى ، وفى السماء شاهدت نسرا يطير  
عاليا . أما أنا .. فلا أستطيع أن أنفذ فى الهواء أو  
فى الماء .

كنت أبحث عن مزيد من القواقع عندما سقطت  
عملة ذهبية على صخرة وتدحرجت الى البحر . عرفت  
ان هناك ثقباً فى جيبى ، وليس فيه نقود الآن فيما  
عدا جنيهن ذهبيتين وشلنا فضيا ، والتقطت جنيها آخر  
من الأرض . وعندما غادرت كوينزفيرى كان معى حوالى  
خمسون جنيها . أما الآن فمعى ثلاثة جنيها وأربعة  
شلنات ، رغم أننى كنت وريثا لبيت كبير .

كنت خائراً القوى ، والبحر والمطر قد اتلفا  
ملابسى ، وحلقى لا يزال ملتهباً ، ومنظر القواقع  
البحرية يمرضنى ، لكنى مضطراً لأكلها .. وكنت  
عطشان ، ومياه البحر مالحة ، لذلك شربت من حفرة  
موحلة تجمع فيها بعض المطر ، ولم تكن هذه نهاية  
مشاكلى على الجزيرة .

توقف المطر أخيراً وظهرت الشمس ، فرقدت على

صخرة مسطحة بجانب البحر .. جفت الحرارة  
ملايبي ، وبعثت الشمس الراحة في أوصالي ، وعادت  
لي بعض القوة والامل . وفجأة ظهر زورق صغير فيه  
رجلان يصطادان .. فصرخت :

— النجدة ! النجدة !

وسقطت على ركبتي . لقد سمعني الرجلان وصرخا  
باللغة الغيلية وأخذوا يضحكان ، لكن الزورق لم  
يتوقف . لم أصدق انهما تركاني ، فركضت على طول  
الشاطئ ، وأخذت أنادى عليهما ، وبكيت بكاء طفلا  
غاضبا !

وأكلت قواقع أكثر ، وأحسست بغثيان أكثر ،  
وكانت قواي قد خارت تماما ، وظننت بأنى ساموت  
لا محالة !

وفي اليوم الرابع ، رأيت نفس الزورق يبحر  
تجاهي ، فجريت للبحر .. وأخذت أقفز من صخرة  
لأخرى . كانت ساقاي تهتران من تحتى ، وانفص



حلقى من المرارة ومن الجفاف ، وانحبس صوتى . بعض الوقت ، ولم أستطع النداء .

اقترب الزورق . . كان فيه ثلاثة رجال هذه المرة ، وعندما صحت ، ضحك الرجل الثالث ، ثم وقف فى الزورق ولوح بيديه . وتكلم بالانجليزية وانصت . وصل الى سمعى كلمة « المد » . بدأ يريق أمل عندى ، وكان يشير نحو الساحل الرئيسى . .

**فصرخت :**

— هل تقصد عندما ينحسر المد ؟

**فقال :**

— نعم ، نعم ، المد .

التفت بعيدا وركضت راجعا فوق الرمال ، والرجال لازالوا يضحكون .

جريت عبر الجزيرة وفى نصف ساعة وصلت الجدول . كان الماء آمنذ ضحلا جدا ، فخضت فيه الى

الجزيرة الأصل - جزيرة مول • أما الجزيرة الصغيرة ،  
فكانت تتكون مع ارتفاع المد فقط •

كنت فتى ريفيا ، لا أحرك هذا السر • لم يفهم  
الهيلنديون الذين كانوا في الزورق مشكلتي ، لقد  
ظنوا أنني مجنون • لكنه كان وقتا عصيبا لي ..

## الفصل التاسع عشر

### الفتى ذو الزر الفضى

كانت جزيرة مول وعرة مثل الجزيرة الصغيرة .  
لم يكن فيها طرق مطروقة . ليس فيها سوى مستنقع  
وأحجار كبيرة .

رأيت دخانا يتصاعد من بعيد ، فسرت تجاهه  
الى أن وصلت الى منزل . . ورأيت جنتلمان هايلاندى،  
جالسا فى الشمس خارج المنزل ويدخن غليونه . كان  
يتكلم قليلا من الانجليزية ، لكننى فهمت منه أخبار  
رفاقى ، وأنهم وصلوا اليابسة ، ومكثوا فى منزله .

فسألت :

— هل كان فيهم شاب يرتدى ملابس جنتلمان ؟

فقال ، بأن واحدا منهم لا يرتدى ملابس البحارة .

**فقلت :**

— آه ، أكان لديه قبعة ذات ريش ؟

**فاجاب :**

— كان بدون قبعة .

ربما فقد الن قبعته ، ثم تذكرت المطر وابتسمت ،  
اذ تخيلت الن بأناقته وهو يحتفظ بقبعته تحت معطفه  
ليحميها ! كان يحب ملابسه الانيقة . **ولجأة قال**  
**العجوز :**

— هل أنت الفتى ذو الزر الفضى ؟

**فقلت وانا اظهره له :**

— نعم .

**فقال :**

— حسن اذن ، عندي لك رسالة . عليك ان

تتبع صديقك الى بلدة ناحية توروساي .

أدخلنى الرجل منزله واستمع هو وزوجته

لقصتي ، وقدما لي بعض الطعام ، ثم رحت في نوم عميق ، وتركاني نائما حتى اليوم التالي .

استرددت بعض قوتي ، وأصبح حلقى أفضل بكثير ، كما ابهجتني أخبار الن ورفعت من معنوياتي . فتركت الرجل الطيب وزوجته ، وسرت في طريقي

وقابلت بعض الناس ، ولاحظت أن جميع الهالاينديين فقراء في هذه البلاد الوحشة ، وانهم يعرفون قليلا من الانجليزية ، ولم يستطيعوا أن يشرحوا لي الطريق الى توروساي . تجولت كثيرا ، ومكنت احدى الليالي في منزل صغير مقابل خمسة شلنات ، وقال لي صاحب المنزل بأنه سيرشدني الى الطريق ، ولكنه خدعني ولم يف بما قال . وأراد آخر أن يسرق نقودي ، ولكنني هربت .

وفي توروساي عثرت على حانة صغيرة نمت فيها نوما هنيئا . وبعد سفر أربعة أيام أصبحت قويا وفي صحة جيدة .

كان هناك زورق يعمل كمعدية من توروساي الى

كنلوخالين ، التى تعتبر اقرب مكان على الساحل  
الاسكتلندى . كان رجل المعديه اسمه نيل مكروب ،  
وهذا احد اسماء عشيرة الن . كان الزورق مزدهجا  
وكننت اريد التحث معه . وعند كنلوخالين اخذته  
جانبا . . . وقلت :

- اننى ابحت عن شخص يدعى الن بريك ، ثم  
عرضت عليه شلنا . . فقال غاضبا :

- انها اهانة يا سيدى ، الجنتمان لا يتصرف  
هكذا .

ادركت غلطتى . كان فقيرا ، لكنه كان معتدا  
بنفسه ، مثل الن ، فبيعت له الزر الفضى . .

**فقال :**

- حسن ان كنت الفتى ذا الزر الفضى ، فلدى  
اوامر بمساعدتك ، لكن يجب ان لا تتكلم عن الن  
بريك ، ولا تعرض نقودك القذرة على جنتمان هايلاندى!

وأخبرنى برسالة الن : وكان على أن أنام فى  
الفندق الصغير الموجود فى كنلوخالين ، وثانى يوم أعبر  
مورفن ، وأقضى الليل مع صديق لالن ، وفى اليوم  
الثالث أعبر بحيرتين ، ثم أسأل عن طريقى الى دارور  
فى أبين ، وبعدها أبحث عن منزل جيمسى جليتز فى  
اوخارن .

كما أوصانى نيل بأن أتجنب الهويجين  
والكامبليين ، وذوى المعاطف الحمراء ، وعلى أن أختبئ  
بين شجيرات الخنج اذا صادفتهم . لقد ظننى جيمسى . .

كان الفندق فى كنلوخالين سيئا ، لكن نمت .  
وفى اليوم التالى قابلت قسا ، يقوم بجولة فى أنحاء  
هايلاند اسمه مستر هندرلند . كان يقرأ كتابا عن  
الانجيل باللغة الغيلية ترجمه مستر كامبل من اسندين ،  
فجعلنا هذا أصدقاء ، فمشينا سويا ، وتكلمنا عن  
الثعلب الأحمر والمستأجرين فى أبين . **واظهر استيائه**  
**لذلك قائلا :**

- جيمسى ستيوات من جليتز أخ غير شقيق

لاردشيل - انه رجل قاس - يجعل المستأجرين يدفعون  
ايجارا ثانيا ، وهناك الن بريك .

**فقلت :**

- آه ، ما رأيك فيه ؟

**فاجاب مستر هندرلند :**

انه رجل شجاع ، جسور ، يستطيع عمل أى  
شئ ويقتل أى رجل . انه أفضل انصار جيمسى ،  
لكنى أحترمه .

**فسالت :**

- وكولن كامبل ؟ الثعلب الأحمر ؟

- لديه مهمة شاقة ! سيأتى غدا مع ذوى المعاطف  
الحمرء لطرد المستأجرين . ولكن الستيوارتين شجعان  
عنيفون ، يخيل الى أنهم سيقتلونه !

استمتع مستر هندرلند بصحبتى ، فدعانى لقضاء  
الليلة فى بيته . . كان منزلا صغيرا على بحيرة لينه .  
وقبلت الدعوة ، لتجنب منزل صديق الن ، اذ بدأت



أتعاشى الهايلانديين الغرباء ، بعدما حدث لى مع المرشد  
المزيف ، ونيل مكروب القاضب .

عثر مستر هندزلند على زورق لى فى اليوم  
الثانى ، سيعبر به صاحبه بحيرة لينه الى أبين بعد  
ظهر ذلك اليوم ، فأخذنى معه ، ووفر على سفر يوم  
طويل ٠٠ ا

## الفصل العشرون

### الثعلب الأحمر

كانت البحيرة عميقة ، والجبال على جانبيها مرتفعة وعرة موحشة . انها بلاد قاسية ، لكن الن كان يحبها . وكانت الشمس تنعكس على صفحة الماء من بعيد ، ورايت - وانا فى الزورق - شيئا يتحرك على طول الساحل . . تبينتهم ، فاذا بهم جنود المعاطف الحمراء ، بسيفوفهم البراقة . . كانت القوات تسير لطرد المستاجرين فى ابين . انه موضوع مؤسف .

عبرنا البحيرة ، وانزلنى صاحب الزورق على الشاطئ ، فرايت غابة لترموور من فوقى ، وأشجار السقدر منتشرة على جانب الجبل ونبات السرخس



عبرنا البحيرة ، وانزلني صاحب الزورق على الشاطئ.

يفعل السفع ، ويجرى طريق من الشمال للجنوب عبر  
منتصف الغابة . وجلست عند حافة الغابة لأكل بعض  
الحبز ولأفكر فى موقفى ، وتذكرت كلمات مستر  
هندرلند عن السيتوارتيين فى أبين ، فجعلنى هذا  
قلقا .

ماذا يجب أن أفعل ؟ لماذا أنا ذاهب الى الن ؟ انه  
خارج عن القانون . . وربما قاتل . لماذا لا أتجه نحو  
الجنوب ، حيث موطنى ؟

كنت مستغرقا فى التفكير ، عندما سمعت صوت  
جياذ ، ورأيت أربعة رجال قادمين على طول الطريق عبر  
أشجار السندر . وكان الطريق وعرا ضيقا فى هذا  
المكان ، لذا فقد كانوا يسيرون واحدا خلف الآخر ، وهم  
يقودون جياذهم .

كان الأول « جنتلمان » ضخما متفطرسا بشعر  
أحمر ، والثانى يرتدى رداء أسود نظيفا ، وشعرا أبيض  
مستعارا ، أدركت أنه محام ، وكان الثالث خادما ،  
أما الرابع فهو الشريف ، منفذ القانون .

وعندما وصل الرجل الأول بالقرب منى ، نهضت  
من بين أجمات السرخس ، واستفسرت عن الطريق الى  
أوخارن . وقف الجنتلمان ونظر الى باندهاش ، ثم  
التفت نحو المحامى وقال :

- أهذا فال سىء . . اننى ذاهب الى دارور ،  
وانت تعرف سبب ذلك ، وهذا الفتى يسألنى الطريق  
الى أوخارن .

**فقال الآخر :**

- جليثور ، لا تهزأ بالموضوع !  
وقف الرجال واخذوا ينظرون الى  
- ماذا تريد فى أوخارن ؟

سألنى هذا السؤال ، كولين دوى كامبل من  
جليثور . أنه الثعلب الأحمر نفسه .

**فاجبت :**

- صاحب المنزل !

فقال جليثور :

- جيمس جلينز ١٩

ثم التفت الى المحامي مرة أخرى .

**وقال :**

- هل تعتقد انه يجمع رجاله ؟

**قلت :**

- ان كنت تقصدني ، فانا لست من رجاله ،  
ولا من رجالك ايضا ، انما انا هويجي شريف مخلص  
للملك جورج .

**قال الشعب الأحمر :**

- ولماذا أنت بعيد عن بلدك أيها الرجل الشريف ؟  
لماذا تريد الأخ اردشيل ؟ اننى ذو نفوذ هنا ، ولتعلم ،  
ان قوات الملك تحت امرتى .

**قلت بغضب :**

- سمعت أنك رجل قاس .

فتنظر الى فى صمت .

## ثم اردف قائلا :

- حسن ، لسانك جرى ، لكنني أحترم صراحتك .. ؟ سأخبرك طريق باب جيمس ستيوارت ، انما ليس اليوم .. فما رأيك ؟ .

كان يوجه كلامه للمحامي مرة اخرى ، والتفت اليه ، وفجأة جاءت رصاصة من جانب التل ، وسقط جليثور على الطريق . وأخذ يصرخ المرة تلو المرة :

- أوه ، لقد مت !

رفعه المحامي الى أعلى قليلا ، وأمسكه بين ذراعيه ، ووقف الخادم مذهولا خائفا . ووضع المصاب يديه على صدره ، فانزلقت أصابعه على أزرار معطفه ، ثم سحب نفسا عميقا مالت بعهده رأسه على كتفه . لقد مات ، لقد قتلت الرصاصة .

وقف المحامي صامتا ، ووجهه مكفهر شاحبا ، أما الخادم فصرخ كالأطفال ، وكنت مملوءا بالرعب .. !

ركض الشريف عائدا ليحضر الجنود ، وأوقد المحامي  
الرجل الميت على الطريق ونهض .

ركضت متسلقا التل وأنا أصرخ :  
- القاتل ! القاتل !

رأيت على الجبل المكشوف رجلا يتحرك مبتعدا .  
كان يرتدى معطفا أسود له أزرار معدنية ويحمل  
بندقية . هل هو الذي أطلق النار ؟ ..

**وصحت :**

- انه هنا ! اننى أراه !

ألقي الرجل بنظرة خاطفة من فوق كتفه ، وبدأ  
يركض ، ثم اختفى فورا وراء بعض الأشجار ، ثم ظهر  
فوقهم . كان يتسلق بسرعة عابرا قمة التل وتوارى  
عن الأنظار وراء الصخور .. وسمعت صوتا ينادينى :

- قف ! قف ! ارجع !

نظرت خلفي ، فرأيت المحامي والشريف يلوحان  
لى ، وذوى المعاطف الحمراء قادمين من الغابة عن يسارهم ،



فصحت :

- أرجع ؟ لماذا ؟ تعالوا أنتم الى هنا !

فصرخ للحامى :

- عشرة جنيهات ان أمسكتكم هذا الولد ! انه  
شريك القاتل . لقد أرسلوه هنا لايقافنا !

سمعت ذلك ، وامتلا عقلى بخوف جديد ..  
فالمخطر على حياتك شيء سيء ولكن الخوف على حياتك  
وسمعتك أسوأ . لقد ظنوا أننى شريك القاتل .  
ووقفت مشدوها لا أقدر على الحركة . فماذا أفعل ؟

انتشرت الجنود .. ركض بعضهم نحوى ..  
وصوب بعضهم بنادقهم نحوى .. لكنى هازلت غير قادر  
على التصرف ..

فسمعت صوتا هائلا :

- تعال ، ادخل بين الأشجار .

كان الصوت قريبا جدا .. أطعت دون تفكير ..  
وسمعت فى نفس الوقت طلقات نارية .. وفى داخل

ملجأ أشجار السندر رأيت الن واقفا .. كانت فى يده  
سنارة لصيد السمك ، وقال :

— تعال !

وركض على طول جانب الجبل .. وتبعته مسرعا .

ركضنا بين الأشجار ، واختبأنا خلف تلال صغيرة ،  
وزحفنا على أيدينا وركبنا بين شجيرات الحلنج ، وتحركنا  
بسرعة ، حتى انقطع نفسى ، وشعرت بأن قلبى  
سينفجر . وبعد ربع ساعة توقف الن ، ورقد على  
نباتات الحلنج . والتفت الى وقال :

— انها خطيرة هذه المرة .. اتبعنى من أجل  
حياتك .

وبنفس السرعة ، ولكنى بحرص أكثر ، رجعنا  
عبر جانب الجبل ، ولكن على ارتفاع أعلى ، الى أن عدنا  
مرة أخرى داخل الغابة . وفى النهاية القى الن سنارته ،  
ورقد على وجهه فى أجسامات السرخس ، وهو يتنفس

بعمق شدید جدا .. اما انا فشعرت بجانبی یولمنی ،  
وراسی یدور ، ولسانی جاف ، وقوای خائرة ..  
فتمددت بجانبه کالمیت .. !

## الفصل الحادى والعشرون

### حديثى مع ألن فى الغابة

استرد ألن قواه من ركضنا الشاق ، وذهب الى طرف الغابة ، ونظر خارجها قليلا .

**ثم عاد وجلس قائلا :**

— حسن ! كان ركضنا عنيفا يا ديفيد !

لم أنبس ببنت شفة ، ولم أرفع راسى . لقد شاهدت المقتل المفاجئ لجنتمان قوى أنيق . . ولم أفق من الصدمة بعد .

مازلت أشعر بالرثاء ، لكن . . شخصا ما قتل الثعلب الأحمر ، وألن — الحبير بالبندقية — يكره هذا

الرجل .. وكان موجودا هنا ، مختبئا فى الأشجار ..  
وعاربا من الجنود .. ترى هل هو الذى أطلق النار ،  
أم أنه هو الذى أعطى الأمر بقتل الرجل ؟ لا تفرق  
كثيرا ..

صديقى الوحيد فى أراضى هايلاند الموحشة مذنب  
بجريمة قتل . ولم أستطع النظر اليه .

**سألنى :**

— أمازلت متعبا ؟

فقلت ووجهى فى السرخس :

— لا ، الآن ارتحت ، وأستطيع أن أتكلم . يجب

أن نفترق .. لقد أحببتك ، وأعجبت بك يا الن ..  
لكن طريقك غير طريقى ، ولا هو طريق الله .

**فقال الن بجدية واضحة :**

— لن أفترق عنك بلا سبب وجيه .. اذا كنت

تعلم شيئا ضدى فأخبرنى به ، وإن كنت كارها لرفقتى  
فقط ، فلا بد أن أعرف السبب ..

**فقلت :**

- الن ، تعلم جيدا ، أن رجل كامبل يرقده قتيلا  
فى دمه تحت هناك !

**صمت فترة ثم تكلم قائلا :**

- مستر بالفور من شوز .. اذا قتلت ، فلن  
أقتل هنا ، لأجلب لجماعتى وعشيرتى المشاكل ، وكيف  
لى ذلك بدون سيف أو بندقية ، فسنارة صيد السمك  
لا تكفى .

**فقلت :**

- حسن ! هذا صحيح !

**فاستمر الن قائلا :**

- والآن ، أقسم بشرفى بأنه ليس لى أى ضلع  
فى الموضوع ..

**فصرخت قائلا :**

- أحمد الله على ذلك !

ومددت له يدى ، لكنه لم يرها ،

وقال :

- ها هي ، مشاكل كثيرة بخصوص واحد من  
الكامبليين ، وغيرها كثير ، اليس كذلك ؟

فقلت :

- لا يمكنك لومي . هل تذكر كلماتك على  
السفينة بأنك تكره الثعلب الأحمر ، وتتمنى موته ..  
لكن التفكير شيء والفعل شيء آخر . شكرا لله على ذلك .  
أنا سعيد بعدم اشتراكك في قتله يا الن .. وها هي  
يدي أقدمها لك ثانية .

فصافحني بكلتا يديه وقال بأنه يستطيع أن  
يفغر لي أي شيء .. ثم أشار بأننا يجب أن لا نضيع  
وقتنا ولنغادر البلاد . **واكد قائلا :**

- بعد موت جلينور سيفتشس ذوو المعاطف الحمراء  
كل شخص في أبين ، وأنا هارب من الجندية بينما أنت  
شريك القاتل .. ليس لنا بقاء هنا .

فسالت :

- الى أين نذهب ؟

فاجاب :

- الى الاراضى المنخفضة .

كنت سعيدا ، فالأراضى المنخفضة بلادى ،  
وميراثى هناك ، علاوة على أننى يجب أن أعود لأعاقب  
عمى .

لست مذنباً ولا شريكاً فى جريمة قتل الثعلب  
الأحمر ، لكنى خفت أن أموت بسبب ذلك ، فقللت :

- سوف أذهب معك يا الن .

فقال :

- ستكون حياة قاسية ، وسنكون متعبين جائعين  
دائماً ، ولن نجد المأوى ، وسننام فى الحلنج ، ويمكن  
أن يصطادونا كما يصطادون الغزلان . اننى أعرف هذه





ونظرنا من بين شجر السندر

الحياة جيدا ، تعودت عليها • لا يوجد بديل ، أما أن  
تختبئ معي في الخللج وأما تشنق !

نظرنا من بين شجر السنندر ، فوجدنا ذوى  
المعاطف الحمراء يحومون فى الطرف البعيد من الجبل ••  
انهم يبحثون عنا •• وضحك قائلا ،

- سيحل بهم التعب ، فلنجلس لناكل ونرتاح  
قليلا يا ديفيد ، ثم نذهب الى أوخارن حيث منزل جيمس  
سيتوارت قريبي ، وأحصل على ملابسى وأسلحتى وبعض  
المال ، ثم نتابع طريقنا •

أكلنا ، وشربنا ، وراقبنا غروب الشمس ••  
ووصفت ما تجشمته من متاعب وعناء على الجزيرة بعد  
غرق السفينة •• وقص على الن آخر مفاصلاته على  
السفينة : رأى الموجة العاتية وهى تسحبني فى البحر ،  
فركض بجانب السفينة ، ورأى أهبط وأعلو عدة مرات ،  
بعدها تعلق بذاك الصارى ، فأمل أن أصل اليابسة ،  
لذلك ترك لى رسائل فى الطريق •

وفى اثناء ذلك ، أنزل البحارة الزورق الى الماء ،  
وجاءت موجة عاتية أخرى ، فقفز كل من على السطح الى  
الزورق الصغير ، وغمر الماء الكوة ، وتسرب الى  
السلوقية ، وعلا صراخ الجرحى بها ، لكن لم يستطع  
أحد فعل أى شئ لهم ، وشد البحارة على المجاديف ،  
فتحرك الزورق بعيدا عن السفينة ، ثم جاءت موجة  
ثالثة فطمرت السفينة بالجرحى الذين بداخلها ، وغرقوا  
جميعهم مع فئران السفينة .

ووصلوا الى الشاطئ صامتين لا يحملون معهم  
الا رعبهم .. وبعدها أفاق هوسيسون لوعيه ،  
**صرخ وهو يشير الى الن :**

— أمسكوا هذا الرجل !

لكن البحارة كانوا خائفين ، ولم يحركوا ساكنا .  
فصاح هوسيسون :

— انه بمفرده ! ومعه نقود كثيرة .. فقدنا  
السفينة ، وفقدنا رفاقكم فى السلوقية .. انها غلظته .

وانتشر البحارة ملتفين حول الن .. كانوا سبعة  
ضده .. صرخ عندئذ رياتش فتوقفوا ..

ثم استمر الن قائلا :

- اعتقد انه لم يكن رجلا سيئا للغاية .. لقد كان  
أسفا بخصوص السفينة والرجال المصابين ، وصاح  
فى بأن أجرى ، فجرئت وتركتم يتجادلون ويتعاركون .  
لم أحب تركهم ، لكنى كنت مضطرا ، ولم أستطع  
البحث عنك ، لأنى كنت فى بلاد الكامبليين ، وهم  
ليسوا أصدقاء لى ..

## الفصل الثاني والعشرون

### زيارتنا لأوخارن

سرنا فوق سفوح جبال وعرة ، وكانت الليلة مظلمة بسبب الغيوم المتلبدة ، لكن الن يعرف الطريق . . وفي حوالى العاشرة والنصف رأينا أضواء تتحرك تحتنا ، وأناسا يدخلون ويخرجون من أحد المنازل بسرعة . فقال الن :

- هل جن جيمس ؟ اذا جاء ذوو المعاطف الحمراء ، فسيعكرون صفوه ، لكننى أتوقع أن أحد رجاله يراقب الطريق . انه يعلم أن الجنود لا تستطيع معرفة طريقنا من فوق الجبل .

وأطلق ثلاث تصفيرات بطريقة خاصة ، وقف

الكل ساكنا عند سماعهم أول تصفيرة ، مما يدل على خوفهم ، لكنهم عرفوا اشارة الن عند التصفيرة الثالثة ، فاستمروا فى عملهم ..

نزلنا التل ، واستقبلنا عند البوابة رجل طويل انيق ، تحدث مع الن بالغيلية . وقال الن :

- جيمس سيتوارت ، تكلم الانجليزية ، فالجنتلمان لا يفهم لغة أخرى ..

**واضاف وهو يضع ذراعة حول ذراعى :**

- انه من الاراضى المنخفضة ، وهو لورد فى بلده ، ولن أخبرك عن اسمه لسبب أمنى ..

رحب بى جيمس برقة .. ثم التفت الى الن  
**صاحا :**

- انها حادثة مروعة ، ستجلب البلاء على البلاد وعلى الأبرياء .

وكان يبدو مهموما جدا .

فقال الن :

- آه ، حسن ، لقد مات كولن روى ، فلتبتهج  
لذلك .

فقال جيمس :

- نعم ، تمنينا موته دائما ، وهذا هو أمنيتنا  
تتحقق ، لكن من سيتحمل المسؤولية ؟ لقد وقع الحادث  
فى ابين ، وابين ستدفع الثمن . اننى مسخول عن  
كثيرين ، ونحن أبرياء .

كنت أراقب الخدم أثناء حديثنا ، كان بعضهم  
فوق السلالم الخشبية يتناولون بنادق وسيوفا وأسلحة  
أخرى يأتون بها من سطح المنزل ومن مباني المزرعة ،  
ثم يحملها آخرون بعيدا ، ويدفنونها فى جانب التل .  
كانوا يقومون بعملهم بسرعة ويتحدثون بصوت  
هامس .

كنت أدرك أنهم قلقون ، لقد تذكرت أن الحكومة  
كانت قد منعت الهاليلانديين من استخدام الأسلحة .

وخرجت فتاة من المنزل حاملة صرة ، فاثار  
المنظر اهتمام الن فى الحال . فقال :

- ما الذى تحمله الفتاة ؟

**فقال جيمس :**

- اننا ندفن بعض الاشياء يا الن لأن ذوى  
المعاطف الحمراء سيفتشون كل أبين ، اننا نخبىء  
البنادق .. وأظن أن هذه ملابسك الفرنسية .. يجب  
أن ندفنها هى أيضا .

**فصرخ الن .**

- تدفنون ملابسى الفرنسية ! لا طبعاً !

أخذ الصرة بسرعة من الفتاة ، ودخل المنزل  
ليبدل ملابسه . وأخذنى جيمس الى المطبخ وكلمنى  
برقة . كانت زوجته تجلس بجانب المدفأة تبكى ،  
ووجهها بين يديها ، وكان ابنه الكبير يتفحص حزمة  
كبيرة من الاوراق ويأخذ بعضها ويحرقه ، وخادمة ذات  
وجه أحمر تبحث فى الغرفة عن شىء ما ، وأحيانا يأتى



رجل يطل برأسه من الباب يستفسر عن شيء ثم  
يختفي .

وأخيرا اعتذر جيمس . وأخذ يتمشى قائلا :

- لا أستطيع أن أنسى هذا الحادث الفظيع ،  
سيجلب البلاء على أشخاص أبرياء .

ورأى ابنه يحرق ورقة ، فظن أنها هامة ، فضربه  
وصرخ فيه بالغالية :

- هل أنت مجنون ! سوف تشنقني !

لم يقل الشاب شيئا ، لكن زوجته أخذت تبكي  
بصوت أكثر ارتفاعا .

تسبب هذا كله في ازعاجي ، وسررت عندما عاد  
الن في ملابسه الفرنسية . لم تكن كما يجب ، فماء  
البحر قد اتلف منظرها بعض الشيء . وأخذني ابن آخر  
لجيمس ، وأعطاني بحتان بعض الملابس النظيفة ، ثم  
أعطوا كل واحد منا سيفًا ومسدسًا وبعض الخيرة .

أما بالنسبة للأكل ، فكان كيس طحين بالاضافة الى زجاجة براندى فرنسى جيد ، كذلك اخذنا مقلاة لعمل العصيدة . أصبحنا مستعدين ، لكن ليس معنا الا نقود قليلة . فعى حوالى جنيهين ومع الن بضعة بنسات ، فلقد ارسل حزامه الذهبى الى فرنسا . وكان جيمس قد دفع كل ماله للمحامين لمساعدة المستأجرين ، ولم يكن معه سوى ثلاثة شلنات وخمسة بنسات فقط .

**فقال الن :**

— هذا لا يكفى !

**فقال جيمس :**

— اختبئ فى مكان أمين ، وارسل لى رسالة ، وقد استطاعتى سارسل لك نقودا . لكن يجب أن تغادرا بسرعة ، سيجملونك مسئولية هذا الحادث ، وسيبحثون عنك . وإذا اعتبروك مسئولاً ، فسيقتربوننى مسئولاً أيضاً ، فانا قريبك ، وتقيم فى منزلى .

كان وجهه باهتا ويجز على أصابعه عندما قال :

- واذا شئقت ، فسيكون وقع ذلك سيئا على  
أصدقائنا .. أوه ، الن ، الن ، لقد تكلمنا كالحمقى !

**قال الن :**

- هذا صحيح ، كنا حمقى .

**ونظر الى واصل :**

- لقد اعطاني صديقى نصيحة طيبة ، ولكن لم  
أستمع له .

**ثم اردف أيضا :**

- حسن ، صيبزغ النور قريبا فى شهر يوليو  
هذا . وغدا سيأتى ذوو المعاطف الحمراء الى هنا .  
يجب أن نترككم ..

وودعناهم وخرجنا فى طريقنا .. وكانت ليلة  
مظلمة جميلة فوق الجبل .

## الفصل الثالث والعشرون

### وادی الصخور

كنا نمشي أحيانا ونركض أحيانا أخرى ، وجاء النهار في الحال ، ومازلنا بعيدين عن الماوى ، فلا توجد أشجار في أى مكان • كنا في واد مغطى بالصخور التى يتدفق خلالها نهر عميق • وكان وجه الن قلقا وهو يقول :

— انه مكان غير صالح لنا •• سيراغبون هذا المكان •

وركض نحو الماء • كان النهر منقسما قسمين بين ثلاث صخور ، والماء ينسكب الى أسفل في صوت كالرعد • ولم يتوقف الن ، وقفز من الصخرة الاولى

الى الثانية ، فقلدته ، وكدت اسقط فى الماء لولا انه  
امسك بى . ووقفنا سويا على صخرة صغيرة متلة ،  
امامها قفزة اوسع من الاولى ، عندما رايتها شعرت  
بدوار ، فوضعت يدى فوق عينى . فهزنى الّن وتكلم ،  
لكن ضوضاء الماء جعلتنى لا اسمع كلماته ، ورايته  
غاضبا . ووضع زجاجة البراندى على شفتى ، فشربت ،  
ثم صرخ فى اذنى :

- تعلق أو اغرق !

واعطانى ظهره وقفز الى الجانب البعيد . اصبحت  
بمفردى فوق الصخرة الصغيرة . لكن البراندى قد  
بعث فى اوصالى بعض الدفء ، ورايت اننى يجب أن  
اتحرك فى التو ، لاننى اذا انتظرت ، فلن أفعلها  
مطلقا ، فانحنيت على ركبتى ، ورميت بجسمى للامام ،  
فوصلت يداى فقط الى ضفة النهر ، وانزلت ثم تعلق  
وانزلت ثانية ، وكدت اسقط لولا يد الّن التى وصلت  
الى ، فآخذ يسحبني من شعري أولا ، ثم من ياقة  
قميصى ، وانتشلني بكل قواه .

لم يتفوه بكلمة ، لكنه ركض للامام مرة أخرى ،

فوقفت على قدمي ، وتبعته على طول الوادي ، ألى ان  
آلنى جنبى \*

توقف الن أخيرا تحت صخرة كبيرة ارتفاعها  
حوالى عشرين قدما ، ولها جوانب مستقيمة ، فوقف على  
كتفى ثم وجد حيزا صغيرا ، وضع فيه قدمه متسلقا  
ببطء الى القمة ، ثم أدلى بحزامه الجلدى الطويل  
لمساعدتى ، فتبعته ، وكانت الصخرة ، عند القمة ،  
مجوفة جهة الداخل كصحن كبير ، تصلح كماوى وسائر  
لنا ، فاخترنا فيها ..

رقد الن فى التجويفة ونظر من فوق طرفها ..  
فاستطلعنا رؤية الوادى ، والصخور ، والنهر . ولم  
تكن هناك اية علامة لمنزل أو صوت لانسان ، فقط كان  
هناك صراخ النسور فوق احدى الصخور . وابتسم  
الن أخيرا .

### وقال :

- لدينا فرصة الآن .. ولكن احترس .. فانت  
لا تقفز جيدا .. !

أحسست بالحجل من نفسى •  
ولكنه قال بسرعة :

- حسن ، اننى لا ألومك ! فالخوف من شيء  
والقيام به رغم ذلك هو أبسل الأعمال • ثم هناك الماء  
أيضا • انى ، نفسى أخاف الماء • لا ، لا •  
واستهر قائلا :

- انى ألوم نفسى ، لآ أنت ، أولا : اجتزت  
طريقا خطأ فى بلدى • وها نحن فى مكان سيء •  
ثانيا : جئت بدون زجاجة ماء • وسنقضى هنا يوم  
صيف طويل •• نم انت الآن يا فتى ، وسأقوم  
بالمراقبة •

كانت توجد أرضية صغيرة فى التجويفة ، ينمو  
عليها بعض السرخس ، فرقدت عليها ، نمت •  
استيقظت فى التاسعة صباحا تقريبا ، وكنت  
أتنفس بصوت عال •  
فوضع الن يده فوق فمى هامسا :  
- أسكت !



ورایت حراسا آخرین علی طول الوادی



وأشار الى حافة الصخرة .. كان نهارا ساطعا  
حارا ، وعلى بعد نصف ميل يوجد معسكر جنود ،  
كانوا يطهون طعاما على نار كبيرة ، وكان يقف على  
صخرة مرتفعة أخرى بجوارنا أحد الحراس ، كما  
رأيت حراسا آخرين يمشون ذهابا وإيابا على طول  
الوادي ؛ نظرت مرة واحدة ، ثم نزلت في التجويف  
بسرعة .

### **فقال الن :**

- كنت على صواب عندما ظننت أنهم سيقبضون  
النهر . لقد أتوا منذ ساعتين . اننا في مكان ضيق .  
إذا صعدوا الى جانب التل فقد يروننا ، أما إذا بقوا تحت  
في الوادي ، فقد نكون في مأمن . يجب أن نتحرك  
عندما يأتي الليل .

### **فسألت :**

- وماذا سنفعل حتى الليل ؟

### **فقال :**

- نرقد هنا ، ونحترق .

كانت كلمة ، نحترق ، كلمة صادقة • فلقد  
ضربتنا الشمس القاسية طوال النهار • وكنا عطشى  
وليس لدينا ماء ، وكان السرخس يكفي لشخص واحد  
فأخذنا نتناوب الرقاد عليه • وكانت الصخرة حارة  
كالنار •

وكان ذوو المعاطف الحمراء يغيرون الحرس  
أحيانا ، وأحيانا أخرى يفتشون بين الصخور • وجاءوا  
ملاصقين لنا تماما ، ورأيت حراب الصلب الحادة  
تندفع في أعشاب الخنج •

مر الوقت ببطء ، وازدادت حرارة الشمس  
والصخرة ، وشعرت بالاغماء ، وكانت الآلام حادة في  
جسمي • وعند حوالي الساعة الثانية لم نعد نحتمل  
أكثر من ذلك ، وكانت الشمس تتحرك قليلا نحو  
الغرب ، وبدأت بعض الظلال في الجانب الشرقي تحت  
الصخرة • وكان هذا الجانب بعيدا عن الجنود ،

**فقال الن :**

— أهى موته أم أكثر ؟

وتدلى أرضا فى الظل ، فقلدته فى الحال  
وسقطت ، ورقدنا هناك مدة ساعة أو اثنتين ، هزيلين ،  
دائخين ولكننا كنا محظوظين اذ لم يات أى جندي .

واسترددنا قوتنا بعد فترة . وكان ذوو المعاطف  
الحمراء فى حالة استرخاء بالقرب من النهر ، كما  
كانوا يعانون أيضا من الحرارة ومتعبين ، ولا يقومون  
بالمراقبة بشكل جيد ، فأشار إلن بالتحرك ، فانتقلنا  
من صخرة الى صخرة ، كنا نزحف أحيانا على بطوننا ،  
ونجرى أحيانا أخرى ، وتحركنا أسفل الوادى بعيدا  
عن المعسكر . . وبعد الظهر كان السكون شديدا  
لدرجة أننا اذا حركنا صخرة واحدة بأقدامنا فقد  
يزعج صوتها المعسكر كله . . !

وعند الغروب وصلنا الى جدول ماء عميق فى  
جانب التل ، كان يجرى مندفعاً ليلحق بالنهر فى  
الوادى ، فسقطنا على الأرض ، وغطسنا رؤوسنا ،  
وأكتافنا فى الماء العذب البارد ، وأخذنا نشرب  
ونشرب ، ثم أخرجنا كيس الطحين وخلطناه بالماء  
وأكلناه .

وجاء الليل ، وانطلقنا مرة أخرى . كنا أكثر  
شجاعة ، ولم تكن متعبين .. وكنا نرى الأرض كما  
أن القمر ظهر أخيرا وبين لنا الجبال ، وبحيرة مالحة  
عميقة ضيقة . والن يعرف الطريق .

لقد أصبحنا الآن فى مأمن ، فآخذ يغنى ،  
ويصفر ، وجعلتنا الموسيقى مرحين .. ومشينا فوق  
الجبال الشامخة الجرداء ..

## الفصل الرابع والعشرون

### الن يبعث برسالة

قبل الصباح وصلنا الى جسر فى قمة الجبل ،  
وكان الماء ينساب من وسطه ، ويوجد على أحد الجوانب  
كهف فى صخرة ، وتنمو أشجار السندر فى أيكه  
نحيلة رائعة الجمال ، وهناك على مسافة ليست بعيدة  
غابة من أشجار الصنوبر . . . . . ونمنا فى الكهف ،  
وقطعنا فروع الخلنج لنصنع فراشا لنا ، وكان غطاؤنا  
معطف الن ، وواقدنا نارا صغيرة لنتدفأ عليها ،  
وطهونا عصيدة ساخنة فى القلاية ، وسكة صغيرة من  
الجدول . لم يكن معنا سنارة للمصيد وكنا لا نحتاج  
اليها ، حيث اتنا وقفنا فى الماء ، وامسكنا السمكة  
بأيدينا .

مكثنا فى هذا المأوى خمسة أيام • كان مكانا  
ساحرا ، وعندما كنا لا نصطاد ، كان الن يعلمنى  
استخدام السيف • كان مدرسا شرسا ، ولم أستطع  
إرضاءه مطلقا •

وإثناء ذلك ، وضعنا خطط هروبنا •

**وفى أول صباح قال الن :**

– لن يأتى ذوو المعاطف الحمراء الى هنا قبل  
فترة طويلة •• ويجب ان نبعث برسالة الى جيمس ،  
وعليه ان يجد لنا بعض النقود •

**فقلت :**

– كيف نبعث برسالة ، ونحن لا نستطيع مغادرة  
هذا المكان •

**فقال الن :**

– حقا ؟ أين أفكارك يا ديفيد ؟ سأبتكر وسيلة !  
وجلس يفكر برهة من الزمن ، ثم التقط قطعة  
خشب ، وصنع منها صليبا ، ثم أحرق الأطراف الأربعة  
بالنار •

## ونظر الى قائلا :

— هل يمكن أن تعيرنى زرى ؟ انه طلب سخيف  
.. لكننى لا أحب أن أقطع زرا آخر من معطفى .  
واعطيته الزر ، فمزق شريطا رفيعا من ملابسى ،  
ومره من ثقب الزر ، ثم ربطه بالصليب مضيفا بعض  
أوراق الصنوبر والسندر وقال :  
— والآن أستطيع أن أثق فى بعضهم ، ولكن  
ليس فيهم كلهم . انك تعلم ياديفيد أنهم فقراء ، والحكومة  
ستعرض مكافأة لمن يجدنا ، وفى كل مكان يوجد أناس  
ضعاف النفوس .. لهذا السبب . يجب ألا يرونى .  
سأهبط القرية عند حلول الظلام ، وسأترك هذا الصليب  
فى نافذة صديق .

## فاستغسرت :

— وان وجده ماذا سيفهم من هذه الرموز ؟!

## فقال الن :

— حسن ، أنه ليس ذكيا جدا ، لكننى أمل أنه  
سيقدح ذهنه : فالصليب يبدو كالصليب المحروق ،

وهذه اشارة فى جماعتنا ، ومعناها أنه يجب على الجماعة أن تتجمع وتحارب ، ثم سىرى الزر الخاص بى ، فسيقول لنفسه : « ان ألن فى مرج الخُلنج ويحتاجنى » !

**فقلت :**

– نعم ، لكن هناك كثير من مروج الخُلنج فى هايلا ند ، فكيف سيهتدى اليك ؟

**فقال ألن :**

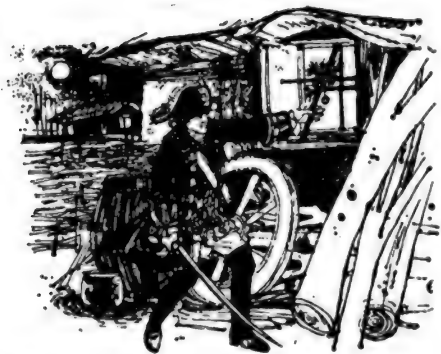
– معك حق ، ولكنه سىرى أوراق السندر والصنوبر ، فسيفكر ، « ألن فى غابة فيها كل من شجار الصنوبر والسندر » ، ولا توجد فى هذه المنطقة غابات كثيرة فيها كل من الصنوبر والسندر . وآمل أن يأتى الى هنا للبحث عنى .

**فقلت بابتسامة :**

– انها فكرة بارعة ، لكن هناك طريقة أسهل يا ألن ، لماذا لا تكتب له ؟

**فرد ألن ابتسامتى واجاب :**





في تلك الليلة وضع الن الصليب المحترق في نافذة  
صديقه

- لأن هذا الصديق يا مستر بالفور من شوز ،  
لا يعرف القراءة .

فى تلك الليلة حمل الن صليبه المحترق ، ووضع  
فى نافذة صديقه ، وعندما عاد كان مضطربا . اذ قامت  
كلاب القرية بضجة كبيرة ، وخرج الناس من منازلهم ،  
ورأى أحد ذوى المعاطف الحمراء على أحد الأبواب . وفى  
اليوم التالى قبعنا عند طرف الغابة ، وكنا نراقب المكان  
دائما .

وظهر عند الظهر رجل ذو لحية ، يصعد جانب الجبل  
ببطء . وعندما صفر الن جاء نحونا . كانت له نظرة  
متوحشة غبية ، وتبدو عليه ملامح الخوف . فقال له الن  
انه يجب أن يحمل رسالة الى جيمس ، فرفض قائلا ،  
انه ربما ينسى الكلمات ، ولا بد أن يأخذ الرسالة مكتوبة .  
فاعتقدت أن هذه العقبة قد تهزم الن ، فليس لدينا قلم  
ولا حبر ، لكن الن كان صاحب أفكار !

بحث فى الغابة ، حتى وجد ريشة طائر كبير ،  
فقطع طرفها الأبيض السميك ليعمل منها قلما ، وخلط

البارود مع الماء ليصنع نوعا من الحبر ، ومزق قطعة صغيرة من وثيقة الجيش الفرنسي ، ثم جلس وكتب ما يلي :

### ابن العم العزيز

• ارجو ارسال النقود مع حامله ، انه يعرف المكان •

ابن عمك

• ص •

أخذها الرجل ونزل بها التل ، وعاد في مساء اليوم الثالث • وجاء لنا بأخبار : ذوو المعاطف الحمراء في كل مكان ، جيمس ستيوارت ، وبعض خدمه في السجن ، هم والناس الذين من المفروض أنهم ساعدوا في الجريمة ، والكل مؤمن بأن الن هو الذي أطلق النار ، عرضت الحكومة مكافأة تبلغ مائة جنيهه للقبض على الن وعلى • مع خطاب صغير حزين من مسز ستيوارت ، التي أرسلت أربعة جنيهات ذهباً وجنيهاً واحداً من العملات الصغيرة ، فهذا كل ما لديها ، وأرسلت أيضاً نسخة من

اعلان الحكومة ضدنا الذى وصف ملابس الن بالضبط ،  
ولم يصف ملابسى .

**فقلت :**

— الن ، يجب أن تبدل ملابسك .

**فقال :**

— لا ، طبعا ، ليس لدى غيرها ، ولا أستطيع  
العودة لفرنسا برداء هايلاندى .

لاحظت فى خاطرى فكرة . . اذا تركت الن فساكون  
آمنا ، فلا أحد يستطيع التعرف على من ملابسى الحديثة  
التي أخذتها من الستيوارتيين ، والن لديه خمسة جنيهاات  
وعليه أن يسافر الى فرنسا ، وأنا لدى جنيهان للوصول  
لمسافة أقصر ، حتى كوينز فيرى . وتشكل مصاحبة  
الن خطرا على حياتى ، ولا بد أنها ستكون مالا أيضا .

أنها لم تكن فكرة كريمة ، والن الشريف يعتقد  
أنه يساعدنى . ماذا أفعل ؟ لم أقل أى شىء ، لكن  
الفكرة ظلت فى خاطرى .

## الفصل الخامس والعشرون

### الأرض البور

تركنا الكهف فورا ، وسافرنا طوال الليل ، ثم توقفنا في الصباح الباكر . لقد وصلنا الى نهاية سلسلة الجبال الطويلة التي أمامها اراض بور بباب مكشوفة . كانت الشمس في بداية شروقها ، فجلسنا نأكل ونخطط.

#### وقال الن :

— هذه هي المنطقة الصعبة يا ديفيد . هل نرقد هنا حتى المساء ، أم نجرب الأرض البور المكشوفة نحو الشرق ؟ واذا جاء ذوو المعاطف الحمراء فيمكنهم أن يرونا من على بعد .

## فاجبت :

— الن ، لا نستطيع أن نعود غربا الى أبين ، وليس لدينا ما يكفى من نقود وطعام . . دعنا نرحل الآن .  
سرته كلماتى ، ووافق .

كانت الطيور تصرخ من فوقنا ، وبعض الغزلان تتحرك بعيدا عنا ، وكانت نباتات الخلنج الحمراء تنمو فى أماكن متفرقة من الأرض البور ، التى أحرقت النيران بعضها ، كما توجد مساحات شاسعة من مسابغ الوحل والماء . وكانت تحيط بها قمم الجبال من كل جانب ، فأخذنا نتحرك فى الأجزاء الضحلة من الأرض البور التى تنحرف بنا أحيانا بعيدا عن الشرق ، ثم كان علينا أن نعبث الأجزاء المسطحة المكشوفة . ونمشى محنيين أو نتحرك على بطوننا ، ونزحف من شجرة خلينج الى أخرى ، وكانت الشمس فظيعة الحرارة .

وعند الظهر رقدنا فى أجمة كثيفة لننام . قام الن بالمراقبة الأولى وقمت أنا بالثانية . لم يكن لدينا ساعة ، لذلك ثبت الن عصا من الخلنج فى وضع عامودى

فوق الأرض ، ووضع علامة على الأرض ناحية الشرق ،  
وقال لى أن أوقفه عندما يصل ظل العصا للعلامة .

وفجأة فتحت عيني ، فوجدت الشمس قد تحركت  
بعيدا عن العلامة . شعرت بالحجل والخوف ، لقد نمت  
أثناء مراقبتي . كنا فى خطر ، كان ذوو المعاطف الحمراء  
يتحركون نحونا من الجنوب الشرقى . كانوا يركبون  
جيادهم عبر الأجزاء العميقة من أراضى الخلنج .

أيقظت الن الذى نظر الى الجنوب ، ثم الى جهة  
الشمس . كان وجهه متجهما صارما ، ولكنه لم يتفوه  
بأى كلمة عتاب ، وقال مشيرا الى جبل فى الشمال  
الشرقى :

- علينا بالجري ، فلنتجه نحو بن أدلر ، إنه جبل  
أجرد موحش ذو تلال وكهوف ، وإذا وصلناه قبل الصباح  
فقد ننجو .

**فصرخت :**

- ولكن ، سيؤدى ذلك بنا عبر طريق الجنود .

## فقال :

— أعرف ذلك ، لكن اذا عدنا الى أبين ، فسنكون  
فى عداد الاموات . أسرع يا ديفيد !

تحرك بسرعة على يديه وركبتيه ، واخذنا نسير  
متعرجين فوق أغوار الأرض البور ، وتغطت وجوهنا  
بالغبار وأجسامنا تؤلنا ، وكنا نسمع من حين لآخر  
صوت أجنحة .. طائر أزعجناء ينطلق الى أعلى من بين  
شجيرات الحلنج .

لم يشاهدنا الجنود انتشروا فغطوا مساحة  
ميلين . اذا ظللت نائما مدة أطول لكانوا قد لحقوا بنا .

تقيحت يداى . وأحسست بالغبار فى عيني وفى  
فسي وفى حلقى ، وقلبي ينفطر . وخوفى من أن هو فقط  
الذى جعلنى أستمع . كان وجهه أحمر ويتنفس بصعوبة ،  
ولا يزال يرتدى معطفه الفرنسى الثقيل . ورغم ذلك كانت  
روحه عالية ومستمر فى الجرى . لقد أعجبت بقوته  
وبسالته .

وأخيرا أقبل الليل .. نظرنا خلفنا ، فرأينا ذوى



المعاطف الحمراء • لقد توقفوا ليعسكروا وسط الأرض  
البور •

وتوسلت لالن لكى ننام قليلا ، لكنه رفض ، فقلت  
انى لا أستطيع السير • فقال :

— حسن جدا ، اذن سأحملك

**فخرجت وقلت :**

— تقدم وساتبعك •

كانت ليلة صيف بلا غيوم ، وكان الهواء عليلا .  
وعشت الساعات طويلا وأنا أشعر بالامى المبرحة فى كل  
خطوة اخطوها •• كرهت الن ، لكنى كنت اطيعه • كان  
جنديا وقادنى كاحسن قائد •

كنا نسير صامتين ، عندما بزغ النهار ، وكنا احديين  
كالاجداد الهرمين ، ووجوهنا شاحبة ، ولا نقدر على  
الكلام • كنا نضع قدما ونرفع أخرى لا غير ، ولا نراقب  
الطريق ، فالتعب يحول بيننا وبين القيام بأى حركة •

وفجأة ، قفز ثلاثة أو أربعة رجال من شجيرات  
الحلنج وهاجمونا بخناجرهم ، وطرحونا أرضا .. !  
سمعت الن يهمس بالفيلية مع احد الرجال ، فرفع  
الرجال خناجرهم عن حناجرنا .

### وقال الن :

- انهم من جماعة كلونى .. نحن محظوظان . انهم  
حراسة ، وسيبعثون برسالة لرئيسهم .

### فصرخت :

- ماذا ! هل كلونى مازال هنا ؟

كان كلونى ماكفرسن ، أحد الزعماء المتمردين منذ  
ست سنوات . وكان هناك ثمن مقابل حياته . كنت  
أعتقد أنه قد هرب لفرنسا .

### قال الن :

- انه مازال فى بلده ، وجماعته تحرسه .

ثم تدهرج وذهب فى النوم ، لكنى لم أستطع  
عمل ذلك . كان راسى مليئا بالضجيج وجسمى

يؤلمنى ، فآخذت أنظر الى حراس كلونى الشرسين  
وانصت الى كلامهم الغيلى ، ولم أستطع أن أرتاح .

عاد تابع كلونى حاملا كلمات ترحيب ، وأصبح  
الن قويا بعدما أخذ قسطا من الراحة ، أما الآن فلم  
أستطع المشى . فصلنى رجلان وصارا بى عبر كثير  
من الوديان والتجاويف المظلمة ، وأخيرا وصلنا الى مركز  
بن ادلر .

## الفصل السادس والعشرون

### عش كلونى

عثرنا على عش كلونى فى مكان مرتفع على جانب الجبل . كان ماوى صغيرا عجيبا يشبه عش طائر . لقد بنى من الاشجار ، ويمكن أن يخفى خمسة أو ستة رجال فيه . ويستخدم كلونى هذا المكان السرى عندما لا يكون ذوو المعاطف الحمراء قريبين . وإذا جاءوا ، كان يتحرك الى كهف من الكهوف .

نهض كلونى للترحيب بنا ، كانت ملابسه فقيرة ، ولكن له خصال ملك .

**وقال :**

— أن منزلى شظف ، لكنى استضفت أحد أفراد

الأسرة الملكية هنا • يمكنكم حدس اسمه • سنحتسى  
شربا ثم نتناول عشاءنا فيما بعد •

كان لكلونى حياة غريبة ، فعادة ما كان وحيدا  
يخاطب خدمه وحراسه فقط ، ويأتى حلاق كل يوم يمه  
بأخبار البلدة • وأحيانا يستقبل فى الليل بعض الزائرين  
كزوجته أو بعض الأصدقاء • لقد جردته الحكومة من  
سلطته ، لكن رجال عشيرته مازالوا يطيعونه ، ويأتونه  
لفض جميع منازعاتهم ، ويرتفعون عندما يفض ، ومع  
ذلك فهذا الزعيم الهيلاندى يعتبر خارجا عن القانون •  
وكانت الجنود تبحث عنه فى كل مكان ، وأحيانا يكونون  
على بعد ميل واحد فقط ، يمكن لأى فقير فى جماعته  
أن يفوز بمكافأة كبيرة اذا بلغ عن مكان عشه ، لكنهم  
جميعهم كانوا مخلصين لزعيمهم •

شربت كأس البرانلى التى أمامه ، فأعاد لى  
بعض قوتى ، وكان يوجد لحم غزال للعشاء ، لكنى لم  
أستطع أن أكل الا القليل • وبعد العشاء احضر كلونى  
ورق اللعب واقترح أن نلعب • كان أبى قد علمنى انه  
من الخطأ اللعب مقابل نقود ، فماذا أفعل ؟



وبعد العشاء احضر كلونى ورق اللعب

كان وجهي محتقنا باللون الاحمر ، واخبرت كلونى  
والن باننى لا لعب الورق . كان كلونى يخلط الورق  
فتوقف قائلا :

— ما هذا ؟ ما هذا الكلام الهوىجى فى منزل كلونى  
ماكفرسن .

### لقال الن :

— مستر بالفور ، شاب شريف شجاع ، ولكنه  
متعب . يجب ان ينام . واذا لم يكن يحب لعب الورق ،  
فلا يمنع هذا من ان نلعب نحن . وانا مستعد يا سيدى  
لاى لعبة .

### قال كلونى :

— سيدى ان ضيوفى احرار . واذا كان هو او  
انت او اى شخص لا يحب منزلى ، فساتركه له .

ولم ارغب فى مشاجرة بين صديقين من اجل  
فقلت :

— سيدى ، اننى متعب جدا فى الحقيقة ، بالاضافة

الى انه وعد لابي قطعته على نفسى ، وستفهم ذلك اذا كان  
لك ابناء .

### فاجاب كلونى :

- لا تكثر فى الكلام .

واشار الى فراش من الخلنج ، لكنه لم يرتح  
لكلماتى ، ورماني بنظرة مروعة .

رقدت وكانى فى حلم . كان راسى ثقيلًا وغريبًا ..  
وكننت استيقظ أحيانا فالاحظهم يلعبون ، وأحيانا أسمع  
أصواتا فقط ، وأظن أننى صرخت عدة مرات . لم أكن  
أحلم بكابوس معين ، لكننى شعرت بذعر عام من المكان .  
كرهت الفراش ، والأصوات ، والنار ، وكرهت  
نفسى .. !

ومر الوقت وعرفت أننى مريض . جاء الحلاق  
- الذى كان طبيبا أيضا - ليعطينى علاجًا .. كان يتكلم  
الغبيلية فقط ، فلم أفهم شيئا .

وفى تلك الاثناء كان الن وكلونى يلعبان . اعتقد



أن الن كان فائزا في البداية .. أذكر أنني جلست مرة ، ورايت ستين أو مائة جنيه على المائدة أمامه .

وفي اليوم الثاني كان سيء الحظ . وعند الظهر أيقظوني وأعطوني مزيدا من العلاج . وكانت الشمس تسطع من الباب المفتوح ، وتؤدي عيني ، وانحنى الن فوق سريري ووضع وجهه ملاصقا لوجهي .

**وقال :**

— هل تعيرني نقودك يا ديفيد ؟

**قلت :**

— لماذا ؟ لا أفهم .

**قال :**

— اوه ، ديفيد ، لا تخزل صديقك .

كنت مصابا بأعياء والحمى مرتفعة ، ولم أكن قادرا على التفكير . وشعرت بأنه يجب أن أبعد وجهه عن وجهي . وهكذا أعطيته النقود .

وفي اليوم الثالث كنت في حالة أفضل .. كنت

ضعيفا ، ولكن ذهني كان صافيا . . كنت جائعا واكلت  
للمرة الأولى . ومشيت وجلست عند باب العش .  
وعندما عدت للداخل مرة أخرى ، كان الن وكلوني  
يستجوبان أحد الخدم ، والتفت كلوني نحوي وتكلم  
بالغيلية .

**فقلت :**

- اننى لا أستطيع فهم الغيلية يا سيدى .  
وبسبب لعب الورق ، كان كل شىء بخصوصى  
يجعل كلوني غاضبا ، فقال بالانجليزية :  
- ان اسمك له معنى أكثر منك نفسك ، فهو  
غيملى . يقول حراسى ان الطريق خال . هل لديك القوة  
على الرحيل ؟

رايت أوراق اللعب على المائدة بدون ذهب ، وكان  
لألن نظرة غريبة آثمة .

**فقلت :**

- لا أعرف عن قوتى شيئا ، لكن نقودنا القليلة  
يجب أن تحملنا مسافة طويلة .

وكان الن ينظر الى الأرض ،

**وقال أخيرا :**

– لقد خسرتها يا ديفيد • هذه هي الحقيقة •

**فسالت :**

– ونقودى أيضا ؟

**فقال الن :**

– ونقودك أيضا ، لماذا أعطيتها لى ؟ اننى أصبح

أحمق عندما لعب الورق •

**فقال كلونى :**

– انها لعبة فقط ، طبعا ستستردون نقودكم

وضعها ، اذا أحببتم • وأخرج ذهباً من جيبه ، وكان

وجهه محمرا ، ولم يقل الن شيئا ،

**فقلت :**

– سيدى ، انك كريم جدا ، وأشكرك •

**فقال كلونى :**

– هراء ! هذه عادة سيئة • لكن ماذا أفعل ؟ فان

حياتي هنا كثيبة • وأنا وحيد أيا ما كثيرة في هذا القفص ، وعندما ياتي اصدقائي لعب معهم ، واذا خسروا فلا اتوقع -

وهنا توقف ،

**فقلت :**

- نعم ، اذا خسروا تعيد لهم نقددهم ، واذا كسبوا يحملون نقودك معهم •• انك كريم ، ولكنه موقف صعب على الضيوف •

كانت هناك فترة صمت قصيرة ، وازداد وجه كلوني فيها احمرارا •

**فقلت :**

- انتي شاب ، واسالك النصيحة •• انصحني كوالد •• خسر صديقي هذه النقود في لعب نظيف • فهل اقبل استرداده ثانية ؟ هل هذا صواب يمكنك ان ترى ، انه لموقف صعب على كبريائي •

**قال كلوني :**

- انه صعب على أيضا يا مستر بالفور • فانا

لا ادعو أناسا فقراء لمنزلى لصيدهم .. أنا لا أهين  
أصدقائي وسوف لا أقبل اهانة .. وكان غاضبا .

**فقلت :**

- يمكنك أن ترى يا سيدى ، ان لى بعض الحق  
بجانبى .. ليست لعبة الورق بالعادة الحسنة للسادة  
المحترمين .. لكنى منتظر اجابتك .

أعتقد انه كرهنى جدا .. لكنه تذكر أننى صغير ،  
كان موقفا صعبا لى ، وتصرف هو بشكل جيد ،

**وقال :**

- مستر بالفور ، أعتقد انك فريد .. انك  
هويجى ، ولكنك لديك روح جنتلمان شجاع ، وبكلمة  
شرف منى . فلتأخذ النقود ، وهأنا أمد لك يدى .

## الفصل السابع والعشرون

### المشاجرة ..

غادرنا في الليل، وقام أحد رجال كلوني بإرشادنا للطريق ، وحمل الن متاعنا .. وأخذنا أولا عبر بحيرة إيرخت ، ثم الى ماوى آخر .  
كنت ما زلت ضعيفا بسبب الحمى ، ومشينا لفترة طويلة في صمت . كنت غاضبا ومعتدا بنفسى ، وكان الن غاضبا وخجلا .. خجلا لأنه خسر نقودى ، وغاضبا لأننى غاضب منه ، وفكرت فى أن انفصل عنه . لماذا لم يقل الن حتى الآن :

— اذهب ، فان مصاحبتى خطر عليك !  
كنت أعرف أنه يحبنى ، ولم أستطع أن أقول له :

- انك فى خطر كبير ، وأما أنا فلا . . فلتذهب  
بمفردك .

وتصرف الن كطفل سيء . لقد اقترض نقودى  
عندما كنت مريضا بالحمى . . . خجلت من افكارى ،  
ولم اقل شيئا ، وأخيرا لم يستطع الن أن يتحمل  
الصمت ، فقال :

- ديفيد ، لا يجب على الصديقين أن يتشاجرا  
بسبب حادث بسيط . . يجب أن أقول لك آسف .  
إذا أردت أن تقول شيئا فقله الآن .  
قلت :

- أوه . ليس لدى ما أقوله .

فارتعش صوت الن قائلا :

- ولكنى اعتذرت يا ديفيد .

فقلت بصوت فاتر :

- اننى أعاتبك .

**فاستفسر :**

- أيجب أن نفترق ؟ لقد قلت ذلك مرة من قبل ،  
هل تقولها ثانية ؟ لن أبقى إذا لم تردنى .  
ذكرتنى كلماته بأفكارى التى أسرتها فى نفسى ،  
ولم أستطع تحملها . فصحت :  
- الآن بريك ! هل تظن أنى أدير ظهري نحوك  
الآن . اننى لا أترك أصدقائى وقت الشدة . حقيقى ،  
اننى سقطت نائما فى الأرض البور ، لكنى كنت متعبا ،  
فيجب أن لا تلومنى على ذلك .

**فقال الن :**

- لم يحدث هذا مطلقا .

**قلت :**

- علاوة على ذلك ، فلا أستطيع أن أنسى الأشياء  
التي بيننا حتى لو استطعت أنت .

**فقال الن بهلوه :**

- سأقول هذا فقط : اننى مدين لك بحياتى لمدة



طويلة ، والآن مدين لك بالنقود • فيجب أن لا تصعبها  
على • أعرف اننى كنت أتصرف بشكل سيء • •  
جعلنى ذلك غاضبا مع نفسى ، وجعلنى قاسيا •  
فقلت :

— اذن ، دعنى أتكلم • انك توافق على أنك قد  
أذيتنى ، وكان على أن أتحمّل الاهانة ، ولكنى لا ألومك  
• • يجب اذن أن أضحك وأغنى إزاءها ؟ يجب أن  
أركع وأشكرك عليها ؟ تقول انك أخطأت ، لماذا تبدأ  
مشاجرة حولها الآن •

### قال آلن :

— حسن ، يكفى هذا •  
سرنا مرة ثانية فى صمت ، وفى اليوم التالى ،  
أخذنا رجل كلونى عبر بحيرة رانوخ ، ثم تركنا ،  
وأخبرنا أن أفضل طريق لنا عبر بلدة كامبل • فلا أحد  
يبحث عنا هناك ، ولم يحب آلن ذلك لكنه وافق  
أخيرا •  
سافرنا طوال ثلاث ليال ، فوق جبال موحشة ،



وكانا ننام أثناء النهار بين شجيرات الخننج

ولنا ننام بالنهار فى وسط شجيرات الخلدنج . وكانت  
السماء تمطر طوال الوقت ، مع وجود ضباب أيضا .  
وكثيرا ما كنا نفضل مسيرنا الصحيح بسبب رداءة  
الرؤية . وكان طعامنا الطحين والماء ، وقطعة لحم باردة  
من كلونى ، ولم نستطع أن نشعل نارا مطلقا ،  
وملابسى لم تجف أبدا . وكان حلقى محتقنا جدا مع  
ألم حاد فى جانبيه . وعندما كنت أناام فى هذا الليل  
كنت أحلم أحلاما مزعجة . رايت ثانية أسوأ مواقف  
لخامراتى : برج منزل شوز فى البرق . . . البحارة مع  
غلام السفينة رانسوم الميت . . . شوان وهو يموت على  
أرض القمر . . . كولن كامبل ممسكا بمقدمة  
سترتة . . .

لم نتكلم الن وأنا طوال هذا الوقت كالأصدقاء ،  
فى الحقيقة ، كنت مريضا جدا ، علاوة على أننى لا أنسى  
بسهولة . كانت طبيعتى مختلفة جدا عن طبيعة الن .  
كنت بطيئا ، وهو كان سريعا . . . لم أكن أتشاجر  
بسهولة ، لكنى لا يمكن أن أنسى بسهولة أيضا .  
ولمدة يومين كان صاحبى رقيقا وصبوراً ، يعتقد

أنى يجب أن أشفى من أفكارى الفاضحة • وكنت  
لا أنظر إليه ، وأرفض مساعدته •

وفى الصباح الباكر من اليوم الثالث ، وصلنا  
الى تل مكشوف ليس به أى ساتر ، فلم نستطع أن  
نرقد أو ننام • كان البن مضطربا ، ونظر الى وقال مرة  
أخرى :

- دعنى أحمل صرتك •

فقلت :

- لا ، شكرا •

كان وجهه مغبرا عندما قال :

- لن أعرض عليك مرة أخرى •• اننى لست  
برجل صبور ، فهذه ليست طبيعتى •

فقلت كالطفل :

- اعرف ذلك •

وتغير منذ ذلك الوقت ، أخذ يصفر ويبتسم ،  
وأخذ يمشى بخيلاء وينادىنى : هويج ، وأسماء

أخرى : وذكرنى بخوفى من القفز . أعرف انها غلطتى  
لكنى كنت متعبا وهزيلا ، ولا أستطيع أن أكون  
أسفا . كان الطقس جميلا وجافا الآن . لكنى كنت  
أشعر برريح شديدة تهب على جسمى . اعتقدت اننى  
لن أستطيع جر نفسى أكثر من ذلك ، لأبد أن أرقد  
فورا ، ويجب أن أموت على هذه الجبال كشعلب أو  
خروف ، وفكرت كالطفل :

— سياسف الن عندما أموت .

سقطت مرة ، وهذا أزعج الن ، ونهضت بسرعة  
مرة أخرى ، ونسى هو حالا . كنت فى لحظة ساخنا ،  
وأخرى باردا وارتعش ، ولم أعد أحتمل الوجع فى  
جانبى . وأحسست أخيرا بالنهاية قادمة ، فعلى أن  
أثير مشاجرة غاضبة واحدة مع الن ، ثم أنهى حياتى .  
نعتنى الن فى هذه اللحظة قائلا ثانية ( هويج ) ،  
فوقفت وقلت :

— مستر ستيوارت ، انك أكبر منى ، ويجب أن  
يكون سلوكك أفضل من ذلك فالسادة المحترمون

لا يهينون أصدقاءهم لأن أفكارهم مختلفة : من فضلك  
تكلم باحترام عن ملكي ، وعن الكامبليين أصدقائي  
الطيبين .

توقف الآن ويداها في جيوبه ، وابتسم ابتسامة  
شريرة ، وأخذ يصفر لحن جيمسي ، وقال :  
- أنا سيتوارت .

فاجبت :

- نعم ، أعرف أنك تحمل اسم ملك . أنت  
تخبرني بذلك دائما . لقد رأيت كثيرا من السيتوارتيين  
في هايلاند معظمهم كانوا قذرين !

فقال الآن بهدوء :

- هل تعرف بأنك تهينني .

فواصلت حديثي :

- دعني أضيف شيئا . فكل من الكامبليين  
والهويجيين قد هزموكم في القتال ، وفررتם أمامهم ،  
فهم أحسن منكم !

وقف الن بلا حراك .

وقال :

- شيء يرثى له ، لا يستطيع الانسان أن يغفر  
أشياء معينة .

قلت :

- كلا ، أنا مستعد .

وسحبت سيفي فصرخ :

- ديفيد ، هل أنت مجنون ؟ لا أستطيع  
مقاتلتك . انها جريمة قتل .

قلت :

- انك أهنتني .

فصاح الن :

- صحيح .

وسحب سيفه ببطء ، ثم القاه بعيدا وسقط على  
الأرض .

**وصرخ :**

— لا ! لا ! لا ! لا أستطيع ! لا أستطيع !

وفجأة ، تركتني جميع أفكارى الغاضبة • كنت مريضا ، أسفا ، ومندهشا من نفسى فقط لا غير • أوه ، لقد تفوقت بكلمات قاسية ! وتذكرت كلمات الن العطوفة ، وبسأله ومساعدته الصبورة فى أيامنا الذميمة • لقد أهنته ، لقد فقدت صديقى الشجاع الى الأبد ، ولا يمكن لى اعتذار أن يزيل كلماتى • ربما فقط صرخة استنجد بعبده لى ، وتنسينى كبريائى •

**وتكلمت :**

— الن ، اذا لم تستطع أن تساعدنى ، فيجب أن أموت هنا •

اعتدل جالسا ، ونظر الى فى دهشة •

**فقلت :**

— لا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة • دعنى اذهب لأحد المنازل ، لأموت فى يسر هناك •



فاستفسر الن :

- أيمكنك المشي ؟

قلت :

- لا ، الا ببعض المساعدة ، فساقاي ضعيفتان ،  
ولا أقدر على التنفس .. اذا مت ، فهل ستغفر لى  
يا الن ؟ لقد أحببتك ، حتى عندما كنت غاضبا .

فصاح الن:

- لا تقل هذا يا ديفيد ، دعنى أسندك بذراعى .  
هل هذا أسهل ؟

قلت وأنا أضغط ذراعه بيدى :

- نعم .

فقال :

- ديفيد ، اننى أحقق ، وليس لدى حسن  
ادراك . أننى أفهم انك ما زلت فتى ، ولم أدرك بأنك  
تموت على قدميك .. ديفيد ، حاول أن تسامحنى .

**فقلت :**

- - أوه . فلننوقف عن الكلام فى هذا الموضوع .  
ما الذى جعلك طيبا معى الى هذه الدرجة يا الن ؟

**فقال الن :**

- - لا أدرى ، لقد أعجبت بك ، لأنك لم تتشاجر  
أبدا ، والآن أعجب بك أكثر .

## الفصل الثامن والعشرون

### زمار القرب

عشر الن على منزل ، فطرق الباب ، رغم أن ذلك شيء ليس مأمونا ، لكنه فعل ذلك من أجل ، فلا يوجد في هذا الجزء من البلاد عشيرة مناصرة كبيرة وإنما كانت هناك عائلات هايلاندية صغيرة مختلفة ، بعضهم اصداقاء ، وبعضهم الآخر اعداء . فهناك آل ماكليين وهم يتبعون زعيم الن في الحرب ، كما يوجد أيضا آل مكجريجور ، ولهم سمعة سيئة ، ولا أحد يحبهم .

كنا محظوظين ، فالمنزل كان يخص دنكان ، وهو من آل ماكليين . وكان يعرف الن ، فرحب بنا . . .

ووضعتني زوجته في السرير ، وارسلت للطبيب :

كنت مريضا جدا ، ولم استطع الحركة لمدة أسبوع .  
لكننى كنت شابا قويا . . فى شهر استرددت قواى .

لم يتركنى الز طوال هذه المدة . كان يختبئ فى  
غابة صغيرة ، ويخرج منها كل ليلة ليزورنى . . وكنت  
سعيدا عندما كان يأتى .

كان لدى دنكان مزامير القرب بالمنزل ، وكان  
يحب الموسيقى ، وعندما تحسنت صحتى ، قضينا ليالى  
مرحة كثيرة مع موسيقى مزامير القرب .

لم يعثر علينا الجنود ، ولم يأت الشريف  
لاستجوابنا ، رغم أن جميع الناس يعرفون اننى هناك ،  
وكان معلقا بالقرب من سريرى منشور يصفنى بوضوح  
كما انى جئت مع الز فلا بد أنهم ادركوا اننى صلبى  
الأراضى المنخفضة ، لقد غيرت ملابسى ، لكنى لا أستطيع  
تغيير سنى أو شخصى .

فى العشيرة يعرف كل واحد الحقيقة ، لكنهم  
لا يخبرون أحدا . وكانوا طيبين نحوى .

ووقع حادث هام عندما زارني روبن اويج من  
آل ماكجريجور . رآه دنكان قادما فأخبرني بسرعة .  
كان ذلك قرب الليل ، ونتوقع مجيء آلن ، فجعلنا ذلك  
مضطربين ، لأنهما أعداء .

دخل روبن بخيلاء ، والقى بتحية المساء على آل  
ماكليرن ، ثم جاء الى سريري وقال :

— أسمع بأن اسمك بالفور ، وكان أخى جريحا  
عام ١٧٤٥ ، فانقذ ساقه طبيب باسم بالفور ، اذا كان  
قريبا لك ، فسأفعل أى شيء من أجلك .

انى لا أعرف الكثير عن عائلتى ، فخبلت وقلت  
لا أدري . وتأسف روبن انه جشم نفسه الطريق ،  
وادار ظهره نحوى ، ولم يلق السلام .

فى هذه اللحظة سمعنا آلن قادما . والتقى  
الرجلان عند الباب . نظر آلن الى روبن . ونظر  
روبن الى آلن . كانا مثل كلبين غريبين . كان كلاهما  
صغير الحجم ، وكلاهما مختالا بنفسه ، ويمتشق كل  
منهما سيفاً . ووضع كل منهما يده على سيفه ، ثم

**قال روبن :**

— انك مستر ستيورات على ما اعتقد .

**فاجاب الن :**

— تماما يا مستر مكجريجور ، فانا لا اخجل من  
اسمى .

**فقال روبن :**

— لم اكن اعلم انك فى بلدى يا سيدى .

**فاجاب الن :**

— اعتقد اننى لست فى بلدك يا سيدى ، انا فى  
بلد اصدقائى آل ماكليرن .

**فقال روبن :**

— اشك فى ذلك ، لكنى اظن انك رجل سيف .

**فقال الن :**

— انى كذلك ، يا سيدى ، ولست الوحيد فى ابين

فقريبي القبطان اردشيل حارب ذات مرة جنتلمان يحمل  
اسمك ، ولا أظن أن مكجربجور قد فاز •

**فسال روين :**

— أتقصد أبى ؟

**قال الن :**

— ربما ••

**فاجاب روين**

— ابى كان رجلا عجسوزا ، والتزال لم يكن  
متكافئا •• يمكن أنت وأنا أن نكون ثنائيا افضل  
يا سيدى •

**قال الن :**

— كنت أفكر نفس التفكير •

نهضت من السرير •• ووقف دنكان بجوارهما  
متاهبا •• كنا نراقب لمنع القتال ، والآن اصبح القتال  
على وشك أن يحدث •• وتدخل دنكان بوجه باهت  
وفرق بينهما قائلا :

- يا سادة ، اننى كنت أفكر فى شيء آخر ..  
ها هي مزاميرى .. كلاكما زمار مشهود له .. لكن من  
هو الزمار الافضل فى الاثنين ؟

• فلنحتكم الآن

**فقال الن ، ولا زال ينظر الى روبن :**

- لماذا سيدى ، ايمكنك العزف ؟ هل انت  
زمار ؟

**فاجاب روبن :**

- زمار خبير •

**قال الن :**

- هذه كلمة جسورة جدا •

**فقال روبن :**

- لقد برهنت على ذلك ، قبل الآن وأمام رجال  
افضل منك •



## قال الن :

- فلنحاول اذن .

احضر دنكان مزاميره بسرعة .. وقدم للرجلين  
طعاما ، وشرابا .. جلس العدوان وهما يتفوهان  
بكلمات مؤدبة .. اكلا وشربا قليلا .. وكانا على شفا  
عراك .. ثم اخذ روبين المزامير ، وعزف لهما راقصا  
مرحا .

## فقال الن :

- نعم ، تستطيع النفخ .

واخذ الآلة الموسيقية ، وعزف نفس الموسيقى  
ثم كرر اللحن بطرق مختلفة ، وزينها بأنغام صغيرة  
خفيفة .

سرني عزف روبين ، لكن عزف الن كان أفضل .  
وقال روبين :

- هذا ليس بىء يا مستر ستيوارت ، لكنى



اعطني المزامير ..

لا أحب هذه النغمات الاضافية القصيرة ، فهي لا تحسن  
اللحن !

فاندفع الدم الى وجه الن ، وصاح واضعا يده  
على سيفه :

ـ انك تكذب !

**فقال روبن :**

ـ حيث اننى هزمتك فى العزف .. ايجب عليك  
ان تتحول الى السيف ؟

**فقال الن :**

ـ حسن مستر مكجريجور .. ساقبل الكذبة  
حاليا .. ويحكم بيننا دنكان .

**فقال روبن :**

ـ دنكان لن يحكم .. نفسك هى التى تحكم ..  
حقيقى انك زمار ماهر كستيوارت .. اعطنى المزامير ..  
اعطاء الن المزامير ، فكرر روبن موسيقى الن ،

وصحح بعض أجزاء منها . ثم بدأ ثانية فى استخدام نفس اللحن . لكنه زينه بطريقة حذقة بارعة جدا . فاندهمت لفه .

كان وجه ألن متجهما عندما جلس وهو يجز على أصابعه ،

ثم قال :

— كفى ! يمكنك عزف المزامير .. والآن دعنا نحاول شيئا آخر ..

وقام للمقاتل ..

رفع روبن يده وطلب الصمت .. وبدأ مرة أخرى .. لعب لحنا بطيئا فى هذه المرة .. كانت قطعة موسيقية نبيلة رائعة ، وعزفها جيدا .. ثم عزف لحنا يفضله الستبوراتيون ، ويعتبره ألن من أفضل الألحان ..

وعندما سمع النغمات الاولى .. تغير وجهه .. وعندما كرر روبن اللحن بسرعة أكثر .. تحرك ألن مع

الموسيقى .. وعندما أنهى روبين العزف ، لم يستطع  
الز أن يكون غاضبا . كان يفكر فى الموسيقى فقط ،

**ولال :**

— روبين أويج .. انك زمار عظيم ! انك افضل  
منى كثيرا .. واعتقد أننى افضل فى السيف منك ،  
لكننا اذا تنازلنا ، فلا نستطيع ان أقتل زمارا عظيما  
مثلك .

وانتهت المشاجرة ، وأخذوا يعزفون ، ويأكلون ،  
ويشربون طوال الليل .. ولم يذهب روبن الى بيته  
الا فى الصباح ..

## الفصل التاسع والعشرون

### الجزر ..

كنا في أواخر شهر أغسطس عندما تركنا آل  
ماكليرن ، وكنت قد شفيت تماما .. فالجو دافئ  
وجميل ، وأصبح لدينا بعض النقود ..

سرنا بالليل ، وسافرنا باتجاه الجنوب الشرقي .  
في اليوم الأول نمنا في منزل ماكليرن آخر ، كان  
صديقا لدنكان ، وفي اليوم الثاني نمنا في خليج جاف  
دافئ . وفي الصباح الثالث نظرنا من قمة التل الى  
أسفل ، فرأينا تحتنا مدينة ستيرلنج ، وقلعتها القابعة  
في السهل ،

وقال الن :

- والآن ، هانت تمود الى بلدك مرة أخرى . واذا

عبرنا نهر فورث فسنكون آمنين .

تصب مياه « اللان » فى النهر الكبير ، ووجدنا بالقرب من هذا المكان جزيرة صغيرة فيها شجيرات خفيفة . فاقمنا فيها معسكرنا حيث يمكننا رؤية قلعة ستيرلنج ، ونسمع قرع طبول جنودها ، والرجال العاملين فى الحقول ، وكنا نستطيع أن نسمع حتى كلماتهم .. ورقدنا صامتين . كان الجو دافئا ولدينا الطعام والشراب .. وطننا أن قلقنا قد أوشك على الانتهاء .

وعند الغروب عاد الرجال الى بيوتهم من الحقول، وخضنا نحو الشاطئ ، وتحركنا بسرعة تحت أسوار الحقول .

وكان الجسر يقع تحت تل القلعة .. كان جسرا عتيقا مرتفعا ضيقا ، ولم يكن القمر قد ظهر بعد .. وأضيئت بعض الانوار ، ولكن كل شئ لا يزال هادئا . ولا توجد أى اشارة تدل على وجود حراسة على الجسر .

وفكرت ان نعبّر فى الحال ، ولكن ان كان احكم ،  
اذ قال :

- انه هادى جدا .. لكننا سترقد هنا خلف  
الحائط ، يجب ان نكون حريصين .

رقدنا هناك مدة ربع ساعة ، واخيرا جاءت امرأة  
عجوز ، ومعها عصا ، وكانت تسعل . وتحركت ببطء  
فوق منحى الجسر . وسمعنا صوت خطواتها ،  
وعصاها ، وسعلتها وهي تبتعد .. وتبتعد ..

فهجست :

- لابد انها عبرت الآن .

فاجاب الن :

- لا ، ان خطواتها لها صوت اجوف .. انها  
ما تزال فوق الجسر . عندئذ صرخ صوت :

- من يمشى هناك .. ؟



وسمعا صوت البندقية الحاد على الحجارة • كان  
الحارس نائما ، واستيقظ الآن • وضاعت فرصتنا •

### وقال الن :

— هذا ليس مفيدا لنا •

وبدون أى كلمة أخرى ، زحف بعيدا عبر الحقول  
فتبعته ، ثم نهض على قدميه ، وأخذ يمشى على طول  
الطريق • كان متجها الى الشرق •

لقد خيبت ظنى تلك الأمسية • كنت أظن اننى  
سأذهب الى منزل مستر رانكيلور لأطلب ميراثى ،  
والآن مازلت مختبئا من القانون •

### قال الن :

— حسن ، لازال ذوو المعاطف الحمراء يراقبوننا  
• ظننتهم أغبياء • لكننى أخطأت •

### فسالت :

— لماذا ستذهب شرقا ؟

**فاجاب الن :**

- انها مجرد فرصة ، فهم يراقبون النهر ، واذا  
لم نستطع المرور من الجسر ، يجب أن نحاول الذهاب الى  
النهر .

**فقلت :**

- لكن البحر اوسع من النهر يا الن .. كيف  
يمكننا العبور ؟

**فقال الن :**

- يمكننا استخدام زورق

**فذكراته :**

- ليست لدينا نقود .

**فقال :**

- ساجد طريقة .. اذا لم أستطع اقتراض زورق  
سوف آخذ واحدا .

- اذا عبرنا مصب النهر فسيصبح الزورق في  
الجانب الخطأ . سيلاحظون هذا ، ثم سيبحثون عنا .

## فصاح الن :

- اذا أخذت زورقا ، فساجعل أى شخص يعيده
- .. لا قجادلنى .. استمر فى المشى ، ودعنى أفكر .
- ومشينا ، مرة أخرى ، خلال الليل ..

## الفصل الثلاثون

### الزورق

كنا فى الصباح متعبين جائعين ، عندما وصلنا الى قرية صغيرة بجانب البحر ، وتقع بلدة كوينز فى على الشاطئ المقابل . كان الدخان يتصاعد من البلدة ، ومن عديد من القرى والمزارع ، وكان الرجال يجمعون محصول الحبوب ، وترى سفينتان داخل المرسى ، وتروح الزوارق الصغيرة وتحمل . أطلت النظر الى التلال الخضراء المبهجة ، والى الناس المنهمكين فى عملهم . . انها بلدى ، وكنت سعيدا بهذا الاحساس .

كان منزل مستر رانكيلور يقع عند الشاطئ.

الجنوبى بينما أنا بالشاطئ الشمالى ، ولا أزال  
فقيرا ، ولى ثمن مقابل حياتى ، كما أن لى رفيقا خارجا  
على القانون .

**فصرخت :**

— آه يا الن ! هناك فى الجهة المقابلة ينتظرنى  
كل شئ ! تستطيع الطيور الوصول الى هناك ،  
وكذلك المراكب ، والجميع يذهبون هناك ما عداى  
انا ..

وفى الساعة العاشرة ، ذهبنا الى حانة صغيرة  
واشترينا بعض الخبز والجبن من فتاة جميلة تخدم  
فيه .. ثم اتخذنا سبيلنا الى غابة بجانب شاطئ  
البحر ، لتأكل . كان الن يشحد ذهنه ، عندما توقف  
**فجأة ، وقال :**

— هل لاحظت الفتاة ؟

**فقلت :**

— نعم ، أنها جميلة جدا ، اليس كذلك ؟

قال :

- هل تعتقد هذا ؟ عظيم .. عظيم ..

قلت :

- لماذا ؟

فابتسم الن وقال :

- حسن .. أمل أن تأتينا بزورق .. ديفيد ..  
لا بد أن تجعل هذه الفتاة تحبك قليلا ، وتجعلها  
تشعر بالامس نحوك .. دعني أخطط .. ثم حدث في  
مليا وأردف قائلا :

- ان لديك نظرة حزينة .. نظرة شاب مريض  
ضعيف ، سيساعدنا ذلك .. تعال ، لا بد أن نعود  
الى الحانة .. من أجل الزورق ..

فأخذت أضحك ، وأنا الاحقه في السير راجعين

الى ان قال :

- ديفيد بالفور .. انت جنتلمان غريب عن

هنا .. سيسليك هذا الدور . اذا كنت تحترم حياتي  
وحياتك ، فعليك أن تكون جادا .. والآن سامثل  
قليلا ، وعليك أن تساعدني ..

**قلت :**

- حسن ، حسن ، سافعل .

عندما اقتربنا من القرية الصغيرة جعلني آخذ  
ذراعه استند عليها .. فتح باب النزل وهو يكاد  
يحملني الى الداخل .. اندهشت الفتاة لعودتنا ،  
ووضعتني الى فوق كرسى ، وطلب كاسا من البراندى  
وأخذ يسقيه لى ببطء ، ثم يطعمنى لقيمات صغيرة  
من الخبز والجبن .. وكان وجهه مضطربا .. وجاءت  
الفتاة بالقرب منا ، وأخذت تراقبنا ، ثم قالت أخيرا :

- ماذا به ؟

**لقال الن بنبرة حزينة :**

- ماذا به ! لقد سار مئات الأميال ، الولد  
المسكين ، لقد نام طول الوقت فى الخللج المبلول .

فقلت الفتاة :

- انه صغير على ذلك ..

فاجاب الن :

- صغير جدا .

فقلت :

- كان يجب ان يركب حصانا

فصرخ الن بحزن :

- من اين احصل على حصان ؟ هل اسرقه ؟

قلت :

- انى ارى انكم سادة افاضل .

فاجاب :

- حسن ، قد نكون ، ولكننا لا نحمل نقودا .

كنت طوال الوقت اكنم الضحك ، واشمعر  
بالخجل فى نفس الوقت .. غانا لا احب الكذب ،  
واخبرت الن ان يتوقف ، واننى اصبحت احسن ،



وجعل الخجل صوتي غليظا خشنا .. فظنت الفتاة  
أننى مريض .

**وسالت :**

— اليس لديه اصدقاء ؟

**فاجاب الن :**

— لديه ، اذا استطاع أن يصل اليهم .. اصدقاء  
اغنياء ، وسرر مريحة ، وطعام جيد ، وأطباء ، ولكن  
هنا .. عليه أن يمشى ويمشى ، ويرقد فى الخلنج

**فسالت الفتاة :**

— لماذا ؟

**فاجاب الن :**

— يا عزيزتى ، لا أستطيع أن أخبرك .. ليس  
مامونا .. لكنى سوف أصفر لك ..

وصفر بنعومة جدا لحننا « جيمسى » ، فقالت  
وهى تنظر من فوق كتفها :

— كفى !

فقال الن :

- لرأيت ؟

صرخت الفتاة :

- وهو صغير على ذلك ..

- انه كبير بما فيه الكفاية ..

وضرب الن بأصابعه على مؤخرة رقبته ، قاصدا  
انى استطيع أن أفقد عقلى .

فصرخت :

- ياله من عار .

قال الن :

- سيحدث ذلك ، اذا لم نعبّر النهر .

فالتفتت الى الباب ، وركضت خارجة .. وفرح  
الن بحيلته ، لكنى لم أحب ذلك ، فقلت :

- اسمع يا الن .. لا استطيع تحمل ذلك ..

فاجاب :

– بل يجب ، ان لم تفعل ، فقد تهرب أنت .  
أما أنا فساموت .

**فصرخت :**

– هذا صحيح !

حتى صراخى نفعا .. اذ عادت الفتاة ومعها  
طعام شهى .. وأخبرتنا بأننا يجب أن نأكل ولا ندفع  
شيئا .. فأبوها هو صاحب المنزل ، وهو ليس موجودا  
اليوم .. وجلست على المائدة المقابلة تلاحظنا ..

**ثم قالت لالن :**

– أظن انك تتكلم كثيرا ..

**فقال الن :**

– نعم ، ولكنى اتكلم فقط للناس الطيبين .

**قالت :**

– لن ابوح بسركما ..

**قال :**

– لا ، أنا أعرف هذا .. لكن يمكنك أن

تساعدينا .

فقلت وهي تهز رأسها :

- لا أستطيع .

فقال الن :

- اسمعى ، اذا امكنا أن نحصل على زورق لعبور النهر الليلة ، ورجل كتوم طيب لارجاع الزورق لاصحنا من الناجين . أما اذا لم نحصل على هذا الزورق .. ونحن لدينا ثلاثة شلنات فى الدنيا .. اين نذهب ؟ ماذا سنفعل ؟ لن نكون سالمين ابدا . سيشنقونا . أعدك ! سترقدين فى فراشك الدافئ ، بينما نحن تحت المطر .. ستتناولين طعامك بجانب المدفأة بينما هذا الفتى المريض المسكين يرتعد فى البرد .

ازعجت هذه الفكرة الفتاة .. ايجب أن تساعدنا ؟ ربما نحن مذنبون فى احدى الجرائم .. وهنا فكرت فى أن أخبرها ببعض الحقائق ،

فسألتها :

- هل تعرفين مستر رانكيلور من كوينزفرى ؟

فقالت :

- رانكيلور المحامى .. نعم ! نعم .

قلت :

- حسن ، يجب أن اعبر النهر لاقابله . انا  
لمست مذنباً فى اى جريمة . اننى فى خطر .. ؟  
وانا هويجى ، ومخلص للملك جورج .

لم يستسغ الن كلمائى الاخيرة ، لكن الفتاة  
كانت مسرورة . فقالت :

- هذا صحيح .. مستر رانكيلور له اسم  
وشهرة طيبة ..

واخبرتنا ان نختبئ فى الغابة ، وقالت :

- ساجد طريقة ما لاعدىكم عبر النهر .

بقينا فى الغابة يوما واحدا ، وجاء زمار قرب ،  
وتحدث معنا ، وسألنا أسئلة كثيرة ، اراد أن يعرف  
عملنا هناك . وطننا أنه سيتكلم عنا ، وأصبحنا قلقين  
عندما تركنا .

وعندما جاء الليل ، ظهرت الانوار فى المنازل  
والقرى .. وممرت الساعات ، ثم انطفأت الانوار  
الواحد تلو الآخر . وكانت الساعة الحادية عشرة ..  
وبدأنا نشعر بالقلق .. عندما سمعنا صوت  
المجاديف ..

نظرنا خارجا ، فراينا الفتاة آتية فى زورق .  
لم تخبر أحدا عنا ، وتركت المنزل عن طريق النافذة  
ووالدها كان نائما ، وأخذت زورق أحد الجيران ،  
وجاءت بمفردها لتساعدنا ..

لم ترد أى ثناء ، وطلبت منا أن نسرع بدون  
كلام .. وجدفت بنا عبر النهر فى سكون ..  
ووضعتنا على الشاطئ . ثم صافحتنا وجدفت عائدة .  
ووقف ألن على الشاطئ . وهو يقول :

— انها فتاة جميلة جدا ، يا ديفيد ، فتاة  
جميلة جدا . اعتقد أنها بسيطة وطيبة ، كنت آسفا  
لأننا تحايلنا عليها بقصة ، وأملت ألا تقع فى أى  
مشاكل بسبب عملها الطيب .

## الفصل الحادى والثلاثون

### حديثى مع المحامى

تركت الن فى الصباح المبكر التالى . ومشيت فى الشارع الرئيسى لكوينزفري ، وكان الناس يشعلون مدافنهم ويفتحون نوافذهم ، ويخرجون من منازلهم . كانت بلدة صغيرة حلوة ، وكنت خجلا من ملابسى القذرة الخشنة القديمة .

مشيت ذهابا وايابا ، وينظر الى سكان البلدة وهم يرتدون ملابسهم الانيقة . ماذا أفعل ؟ اننى هنا اخيرا ، ولكن آمالى قد ضاعت . . .

ليس لدى اى اثبات واقعى بمطالبتى باملاك عائلة شوز . بل لا استطيع اثبات اننى ديفيد بالفور

اننى فى حاجة الى وقت وليس لدى الوقت • لدى  
ثلاثة شلنات فى جيبى ، وعلى أن أساعد أحد الخارجين  
على القانون ليغادر البلاد بسرعة •

رايت الناس يشيرون الى ويبتسمون ، وليست  
لدى الشجاعة الكافية لأسألهم عن منزل مستر  
رانكيلور • مشيت الشارع لنهايته ، ثم اتجهت  
للمرفأ ، وعدت اتجول من جديد • وحوالى الساعة  
التاسعة تعبت وهبطت معنوياتى •

توقفت بجانب منزل فخيم له نوافذ جميلة ،  
خرج منه رجل مهيب ضخيم • كان وجهه يشع براءة  
وذكاء ، وفوق انفه نظارة ، فخيل الى أنه شخص  
مهم • لاحظنى فى الحال ، فتكلم معى مستفسرا :

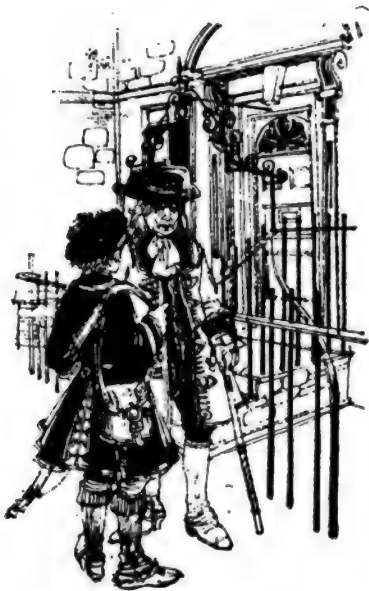
– هل تريد شيئا ؟

اعطتنى كلماته بعض الشجاعة فقلت :

– هل يمكنك ارشادى الى منزل مستر رانكيلور

المحامى ؟ • • ؟





آنا مسٲر رانكيلور

**فقال :**

- لماذا ؟ لقد خرجت منه لتوى • أنا مستر وانكيلور •

**قلت :**

- سيدى • اسمح لى أن أتحدث اليك •

**قال :**

- انى لا أعرف اسمك ولا وجهك •

**قلت :**

- اسمى ديفيد بالفور •

• ادهشته كلماتى •

**وكرر بصوت عال :**

- ديفيد بالفور ؟ ومن أين أتيت يا مستر ديفيد بالفور ؟

• ونظر الى بحدة من خلال نظارته •

**قلت :**

- لقد أتيت من أماكن كثيرة غريبة • يمكننى

أن أخبرك بالكثير اذا لم تكن فى مكان عام .  
فوقف مفكرا للحظة .

**ثم قال :**

— حسن . انه سيكون افضل .  
وقادنى الى منزله ، ودخلنا الى غرفة صغيرة ،  
مليئة بالكتب والاوراق ، ثم جلس وقدم لى كرسيها  
ونظر بحزن من كرسيه النظيف الى ملابس القدرة .  
**ولال :**

— والآن . ان كان لديك أى كلام ، ارجو أن  
تقوله بسرعة .

صعد الدم الى وجهى .

**ولكنى قلت :**

— اعتقد بأن لدى الحق فى اراضى آل شوز .  
أخرج مفكرة من أحد الأدراج ، ووضعها على مكتبه  
**وقال :**

— حسن ؟

لم أستطع الاستمرار ، ماذا أقول ؟ .. ولكنه  
قال لي :

— ابدأ ، ابدأ ، مستر بالفور يجب ان تستمر .  
أين ولت ؟

**فقلت :**

— في ايسندين يا سيدى فى عام ١٧٣٣ الثانى  
عشر من مارس .

فنظر الى مفكرته .

**وقال :**

— والدك ووالدتك ؟

فاخبرته باسميهما .

**فسألنى مستر وانكيلور :**

— هل عندك أى أوراق ؟ هل تستطيع ان تثبت  
بانك ديفيد بالفور ؟

**فاجبته :**

— ليس لدى أى أوراق يا سيدى ، لكنها عند

مستر كامبل القس بايسندين • سوف يتعرف على  
واعتقد أن عمى سيفعل ذلك ، أيضا •  
فقال :

– مستر ابنيزر بالفور ؟

– هو نفسه •

– هل رأيته ؟

– لقد استقبلنى فى منزله •

**فسال المحامى :**

– هل قابلت القبطان هوسينسون ؟

**قلت :**

– نعم ، فى الحقيقة يا سيدى لقد دفع له عمى  
نقودا ليخطفنى قرب هذه البلدة •• لقد كنت قادما الى  
منزلك ، عندما دعانى القبطان الى سفينته • وعلى  
ظهرها ، ضربت على رأسى ، ثم وضعونى أسفل السطح  
وأبحروا ، وكان سيأخذنى الى أمريكا لبييعنى فى سوق  
العبيد • ولكن السفينة غرقت ، وبعون الله هربت  
من هذا الشر •

فسال مستر دانكيلور :

– أين غرقت السفينة ؟

فقلت :

– بجانب الطرف الجنوبي لجزيرة مول ، ووصلت

الشاطئ على جزيرة ايريد .

ونظر مرة أخرى الى مفكرته .

وقال :

– آه ، كلماتك تتفق مع الحقائق هنا ، لكن

السفينة غرقت في السابع والعشرين من يونيو ، ونحن

الآن في الرابع والعشرين من أغسطس . توجد فترة

شهرين تقريبا ، كيف تفسر هذا ؟

اجبت :

– يجب أن أعرف أولا يا سيدى ، هل أنا أتكلم

الى صديق ؟

فاجاب :

– لا أستطيع أن أكون صديقك ، اذا لم تخبرنى

بكل شيء ، فعلى الصغير أن يثق فى من يكبرونه .

قلت :

- لا تنس يا سيدى ، باننى وثقت فى عمى ،  
والقبطان هوسيسون ، واعتقد أن عمى استخدمك .  
فضحك ثم نظر الى باحترام .

وقال :

- لا ، لا ، لقد كنت فى الحقيقة ، رجل أعمال  
عمك ، لكن حدث كثير من الأشياء خلال الشهرين  
الماضيين . وجاءنى مستر كامبل فى مكتبى أحد الايام  
ليسأل عنك . لم أكن قد سمعت عنك ، لكننى كنت  
أعرف والدك ، وأخبرنى مستر ابنيزر بأنه رآك .  
وأخبرنا بأنه أعطاك مبلغا كبيرا من المال ، وأنت ذهبت  
الى أوروبا ، لانهاء تعليمك . أما مستر كامبل ، فقال  
أنه لم يستلم أى رسالة منك ، وقال له ابنيزر بأنك  
القيت الماضى خلفك ، وقال انها رغبتك ، ولا أعتقد أن  
أحدا صدقه .

واستمر مستر رانكيلور .

## وقال وهو يبتسم :

فى الحقيقة ، كان غاضبا منى لأنى استجوبته ، ولم يستخدمنى بعد ذلك • لقد عرفنا مستر كاهيل وأنا بأن هناك شيئا ما خطأ • ولكن ليس لدينا أى دليل ، ثم جاء القبطان هوسيسون ، وقال انك غرقت • عندئذ عرفنا أن عمك قد كذب • ولكن اذا كنت قد مت فلن نستطيع أن نفعل شيئا • • شعرت الآن اننى أستطيع أن اثق بك •

## وقلت :

- سيدى ، اذا أخبرتك قصتى ، فستكون حياة صديقى فى يديك • عدنى بأنه سيكون آمنا • وسأثق فيك من أجل اعمالى •  
فاعطانى وعده بوجه جاد •

## وقال :

- لكن ، رجاء أن تتذكر بأننى محام •  
أخبرته قصتى من البداية ، فأغلق عينيه وانصت • واعتقدت لفترة انه نائم ، لكن لا : بل سمع كل شيء ،



وتذكر كل شيء .. حتى أسماء الأماكن الهائلانية  
الغريبة . وعندما تكلمت عن آل بريك ، تحرك بحدة  
في مقعده . سمعت كل اسكتلندا ، طبعاً ، بالإن  
وبجريمة آيين ، وموضوع المكافأة .

### فقال :

— لا تذكر أسماء الهائلانيين ، يا مستر بالفور .  
فكثير منهم ضد القانون ، ولكنى لا أسمع جيداً ..  
لا أعتقد أننى سمعت اسم صديقك بالضبط ، دعنا  
نسميه مستر طومسون ، وعندئذ لن تكون هناك  
صعوبة .

كنت أعلم أنه سمع اسم آل بكل وضوح ، ووطن  
أننى قد أتكلم عن جريمة القتل . وأصبح اسم آل  
طوال بقية القصة : مستر طومسون . لقد أضحكنى  
ذلك ، وأعتقد أنه سيضحك آل أيضاً . وعندما انتهيت

### قال المحامى :

— حسن ، لقد مرت بمغامرات كثيرة ، كما وقفت  
مواقف صعبة كثيرة . ولقد تصرفت بشكل حسن فى

معظمها ، كما أعتقد أن مستر طومسون له خصال  
حميدة كثيرة ، ولو أنها عنيقة نوعا ما . لقد كنت  
مخلصا له ، وكنت على صواب ، وكان هو مخلصا لك ،  
وكنتما كلاكما فى خطر . . حسن ، أعتقد أن هذه الأيام  
قد انتهت . ولقد اقتربت من نهاية ما يعكر صفوك .

نظر الى بعطف ، وكنت سعيدا . فلفترة طويلة  
تجولت ونمت تحت السماء . . والآن أجلس فى بيت  
نظيف ثانية ، واتحدث الى جنتلمان يرتدى ملابس  
نظيفة ، ونظرت الى ملابسى ، وكنت خجلا .

لاحظ المحامى ذلك ، فنهض وقادنى الى حجرة  
أخرى ، ثم قدم لى صابونا وماء ومشطاً ، وبعض ملابس  
ابنه ، ثم دعانى للعشاء ، وتركنى .

## الفصل الثاني والثلاثون

### الأخوان

نظفت نفسي ، واغتسلت .. وعندما نظرت في المرأة رأيت ثانية وجه ديفيد بالفور الحقيقي .. وكنت سعيدا . وعندما انتهيت أخذني مستر رانكيلور ثانية الى مكتبه .

**وقال :**

- اجلس يا مستر ديفيد ، سأشرح لك الآن وضع ميراثك . لعلك تريد أن تعرف موضوع والدك وعمك .. انها قصة غريبة .. الحقيقة ، أنها كانت نتيجة قصة حب .

**قلت :**

– حقا ، لا أتخيل عسى في قصة حب .

**فاجاب المحامي :**

– ولكن عمك لم يكن عجوزا دائما ، ولم يكن قبيحا أيضا ، بل كان نبيلًا جميلًا وهو صغير . اعتاد الناس أن يقفوا أمام أبواب منزله ليتطلعوا اليه عندما كان يمر بعربته ، أنا نفسي كنت معجبا به أو قل غيورا نوعا ما ، لأنني كنت فتى عاديا .

**فقلت :**

– اننى لا أستطيع أن أصدق هذا .

**فقال المحامي :**

– حسن ، انه الفارق بين الشباب والشيخوخة ، وليس هذا كل شيء ، بل أظهر ابنيزر بسالة رائعة أيضا ، ففي عام ١٧١٥ ، هرب من البيت ليلتحق بالثوار ضد الملك ، فتبعه والده وأعادته . ثم وقع الشابان في حب نفس السيدة . كان ابنيزر الابن الأصغر ، جعلته العائلة أنانيا . لقد أعجبوا به ،

وأحبوه ودللوه ، أعطوه كل شيء ، فاعتقد بأنه يجب أن يفوز بهذه السيدة ، أيضا . . . لكنه لم يكن محظوظا في قصة حبه . إذ أنها اختارت أباك ، ولم يستطع ابنيزر تحمل ذلك . فمرض أولا ورقد في الفراش ، وجلس أفراد عائلته من حوله يبكون ، ثم أخذ ينتقل من حانة الى أخرى ليحكى قلقه لكل شخص . أما أبوك يا مستر ديفيد فكان طيبا محترما ، لكن كانت شخصيته ضعيفة ، ضعيفة جدا . فعندما رأى تعاسة أخيه ، ترك السيدة له ، ولكنها لم تكن حمقاء . . . اعتقد أنك ورثت منها حسن الادراك . لقد رفضت الاثنين ، واضحك ذلك الجميع .

**فقلت :**

— بل ، انه لشيء محزن أيضا يا سيدي .

**فاجاب المحامي :**

— كلا ، فلقد تصرف عمك كطفل أناني ، وفكر في نفسه فقط . . . تناقش والدك معه كثيرا . وفي النهاية اتفقا على شيء غريب : يأخذ أحد الأخوين

السيدة ، وياخذ الآخر منزل وأرض آل شوز . ولم  
يستشيرا أى محام . وكان تصرف والدك هذا ليس  
حكيمًا ، ولا عادلا لأى أحد . وكانت النتيجة أن أباك  
وأهلك أصبحا فقراء دائما ، وصرت أنت فقيرا أيضا .  
وهم المستأجرون فى أراضى آل شوز بأوقات عصيبة ،  
فلم يكن ابنيزر طيبا معهم .

**فقلت :**

— عجيب ، لقد تغير عمى كثيرا ، عندما كبر .

**فاجاب مستر رانكيلور :**

— انى أدرك ذلك ، ويدرك هو انه لم يتصرف  
جيذا . وسمع بعض الناس بالقصة الحقيقية ، ولم  
يتكلموا معه أبدا ، ورأى آخرون انه قد استغل طيبة  
أخيه واستولى على ميراث آل شوز ، بل قالوا انه قد  
قتل أخاه . وهكذا تجنبه الجميع ، وعاش وحيدا .

كان يملك المال ، ولا شئ آخر . لقد كان المال  
أهم ما لديه . وأصبح أنانيا وجشعا . ولديك أنت  
الدليل على ذلك .

قلت :

— حسن يا سيفى • ما هو موقفى ؟ هل غيرت  
قصة الحب هذه ، وما نتج عنها من حقى فى ميراث آل  
شوز ؟

فقال المحامى :

— ان منزل آل شوز ، وارضيه تخصك انت ،  
ولا يهم اذا كان والدك قد وقع بعض الاوراق ليمنحها  
لك • فانت الوريث قانونا • لكن عمك سيقاوم •  
والقضايا القانونية تكلف نقودا ، وقضايا العائلات  
تشهر بسمعة أصحابها ، بالاضافة الى مغامراتك مع  
مستر طومسون ، التى اذا سمع بها أحد فقد تسبب  
ازعاجا • ولا نستطيع اثبات انك قد خطفت • فليس  
لديك شهود ، وعمك رجل عجوز ، ونصيحته لك هى :  
دعه يبقى فى البيت ، وياخذ نصيبا من دخل الأرض •  
اخبرته باننى موافق • وفكرت أثناء ذلك فى  
خطة •

**وقلت :**

- يجب أن ننصب له فخا بطريقة ما ، والا فلن  
يشركنى فى الدخل مطلقا . يجب أن يقول بأنه مذنب ،  
وأن يفعل هذا أمام شهود ، كما يجب أن يقول أنه  
دفع للقبطان هوسيسون نقودا ليخطفنى !

• فوافق مستر رانكيلور على هذه الفكرة .

**وقال :**

- نعم ، هذا ضرورى ، انما علينا أن نقوم بذلك  
بسرعة .. وربما نجد بعض بحارة الكوفينانت ليقولوا  
الحقيقة فى المحكمة . لكنهم قد يتكلمون عن مستر  
طومسون صديقك . لا بد أن نجد وسيلة أخرى .

**فقلت :**

- حسن يا سيدى ، اليك وسيلتى .  
وأخبرته بخطتى .. !



## الفصل الثالث والثلاثون

### النظارة

انصت مستر وانكيلور الى خطتي ثم هز رأسه  
قائلا :

- هذا معناه اننى يجب أن أقابل مستر طومسون .

- اعتقد ذلك يا سيدى .

- لا يا مستر ديفيد ، فخطتك ليست ممكنة . لا  
أقول شيئا عن صديقك مستر طومسون ، ولا أعرف شيئا  
ضده ، وإذا علمت أى شىء ضده ، فلا بد أن أقوم بواجبى  
وأقدمه أمام القانون . هل يمكن لى مقابله ؟ ان هذا من  
الحكمة ؟

**فاجبت :**

— كما تريد يا سيدى !

فهمت أن خطتى اعجبته ، وتسكلم عن مستر طومسون ثانية بعد العشاء ، ومتى ساقابله ؟ وأين ؟ وهل مستر طومسون شخص حسن التقدير ؟ وهل أوافق على شروط معينة إذا أمسكنا بالشعلب العجوز ابنيزر ؟ وسال أسئلة أخرى كثيرة ، وأجبت عليها كلها ثم جلس وأخذ يفكر لمدة طويلة ، ثم أخرج قلما وورقة ، وبدأ يكتب ، وعندما انتهى من الكتابة ، دق جرسا ، فدخل كاتبه الحجره .

**وقال له :**

— تورانس ، انسخ هذا الليلة ، وعندما تنتهى ، سترندى قبعتك وستأتى مع السيد ومعى ، كما سنحتاج الى شاهد آخر .

**وصرخت عندما خرج الكاتب :**

— لماذا يا سيدى ، هل فكرت فى تجربة خطتى ؟

## فاجاب :

- اعتقد ذلك ، والآن لنتكلم عن شيء آخر غير العمل . دعني أحكى لك قصة عن كاتبى ، حدثت منذ سنوات عديدة . كان عليه أن يقابلنى فى ادنبرة الساعة الرابعة ، وعندما تقابلنا ، كان تورانس مخمورا فلم يتعرف على ، وكنت أنا قد نسيت النظارة ، فلم أتعرف على كاتبى !

ووجدت أن من الأدب أن ابتسم لقصته ، لكنها لم تمتعنى كثيرا ، وضحك هو كثيرا على نكتته ، وكررها عدة مرات ، أثناء اليوم ، وكان يضحك فى كل مرة .  
أما أنا فلم اعجب بها .

وفى المساء غادرت المنزل مع مستر رانكيلور ، وتبعنا تورانس ، وكانت الورقة فى جيبه ، كما كان يحمل سلة ذات غطاء . واجتازنا البلدة ، وتحدث كثير من الناس مع المحامى ، وكان بعضهم يطلب مشورته ؛ ونصائحهم ، ولاحظت أن جميعهم يحترمونه .  
تركنا المنازل واقتربنا من حانة هاوس على شاطئ.

البحر ، وتذكرت مغامراتى هناك ، والناس الذين كانوا  
معى ؛ مات كثير منهم . رانسوم وشوان وبحارة السفينة  
الجرحى المساكين . لقد انتهى قللى ، وأنا سعيد بذلك ،  
ولكنى عندما رأيت هذا المكان مرة ثانية شعرت بالحزن  
والخوف مرة أخرى .

كنت أفكر فى هذا عندما وضع مستر رانكيلسور  
يديه فى جيبه وضحك وهو يصيح :

— لماذا ؟ شىء عجيب ، لقد نسيت النظارة ثانية .

والآن فهمت نكته عن النظارة ، أخيرا . لقد  
تركها بالبيت لسبب وجيه ، أن يحصل على مساعدة الن  
بدون نظارته ، فلا يستطيع رؤيته جيدا ، ولا يستطيع  
التعرف عليه مرة ثانية . ويكون بذلك فى مأمن من  
القانون أيضا .

وعندما تجاوزنا المنزل بعثنى مستر رانكيلور لمقابلة  
الن ، الذى كان مختفيا فى الحقول قرب الطريق ، وكنا  
قد اتفقنا على ذلك من قبل . واطلقت تصفيرة خاصة

للحن هايلاندى قصير ، فعرف الاشارة ، وظهر من بين الشجيرات .

كان جوعان وفى حالة نفسية سيئة ، فاخبرته بأن كل شيء سيكون على ما يرام . وشرحت له بأنه يجب أن يمثل دورا آخر لمساعدتى . سره ذلك ، وعاد بسرعة الى مرجه المعتاد .

### وقال :

– انها فكرة رائعة ، وأنا الشخص المناسب لذلك ، سأقوم بهذا الدور لأجلك .  
لوحث لمستر رانكليور ، فجاء ورحب بالن .

### وقال :

– لقد نسيت نظارتى ، ولا أستطيع أن أرى جيدا بدونها ، ولو قابلتك غدا ، فربما لا أتعرف عليك .  
انجرحت كبرياء الن الهيلاندية ، وخيل له انها اهانة .

### وقال :

– انى أقبل اعتذارك يا سيدى ، هذا ضرورى .

أمسك المحامي بذراع ألن ، وسارا أمامنا أنا  
وتورنس ، وتأملت الحقول ، والغابات حول منزل  
آل شوز ، وامتلا قلبي بالاعتزاز ، انها ملكي كلها الآن .  
اجتزت ثانية عامودي البوابة الحجرين الضخمين اللذين  
يعلوهما درع النبالة الخاص بالعائلة . وكان الليل قد  
صبحى عندما وصلنا الى المنزل .

كانت ليلة مظلمة دافئة ، تهب فيها نسمة رقيقة  
على أوراق الشجر ، غطى صوتها على أصوات خطواتنا .  
ولم يكن هناك أى ضوء بالمبنى ، وكانت الحفايش تحوم  
من حوله .

تهامسنا سويا ، ثم تسللنا أنا والمحامي والكاتب  
بهدهوء ، واختبأنا فى ركن المنزل ، ومشى ألن بمفرده الى  
الباب الامامى ، ثم قرعه .. !

## الفصل الرابع والثلاثون

### المصيصة • •

أخذ الن يقرع الباب بدون اجابة ، ثم سمعت  
أخيرا نافذة تفتح بالطابق الأول بهدوء ، وعرفت أن  
عمى يطل منها ، فاستطاع أن يرى الن على السلم ،  
وكنا نحن الشهود الثلاثة فى الركن بعيدين عن مجال  
رؤيته •

وبعد دقيقة ، تكلم ابنيزر مستفسرا :

- ما هذا ؟ ان هذا الوقت المتأخر من الليل  
لا يناسب الاشراف من الناس • لماذا اتيت ؟ لدى  
بنديقة •

فقال الن وهو يخطو للخلف وينظر الى أعلى :  
- هل أنت مستر بالفور ؟ انتبه لهذه الغدارة  
القديمة فقد تنفجر .

فصرخ عمى غاضبا :  
- ماذا أتى بك الى هنا ؟ من أنت ؟

فقال الن :

- الاسم لا يهم ، لقد أتيت لأخبرك عن شيء  
يخصك ..

فسال عمى :

- وما هو ؟

فقال الن :

- ديفيد .

فصرخ عمى بصوت مختلف جدا :

- ماذا تقول ؟



**فقال الن :**

- هل أخبرك بباقي الاسم ، اذن ؟
- وبعد فترة صمت .

**قال عمى :**

- ربما سأسمح لك بالدخول .

**فاجاب الن :**

- سنتكلم عن هذا الموضوع هنا على عتبة الباب .
- هنا والا فلا ، فانا معتز بنفسى مثلك ، بل ومن عائلة
- أفضل من عائلتك .
- وفكر ابنيذر لفترة قصيرة ، ولم يعجبه ذلك .

**ثم قال :**

- حسن ، سأنزل .

مرت فترة أخرى ، سمعناه بعدها ينتزع السلسلة من الباب ، ثم فتحه وخرج . خطا الن الى الخلف قليلا ، وجلس ابنيذر على أعلى سلمة ، وبندقيته في يديه .



والآن ، تذكر ان معى بندقية

**وقال :**

— والآن ، تذكر أن معى بندقية ، وإذا اقتربت  
خستموت فورا •

**فقال الن :**

— انه ترحاب مؤدب جدا •

**فاجاب عمى :**

— كلا ، ولكن لا بد أن أحمى نفسى ، والآن افصح  
عن موضوعك •

**قال الن :**

— لماذا انت ترى انى جنتلمان من هايلاند ، وبلدى  
ليس بعيدا عن جزيرة مول ، عثر أحد أفراد أسرتى على  
غلام ، كان نصف ميت على الشاطئ • وانقذ قريبي  
حياة الولد ، وأخذ هو وبعض أصدقاء له الفتى ،  
ووضعوه فى قلعة قديمة • وأصدقائى شرسون بعض  
الشيء ولا يبالون بالقانون ، وبعد اكتشافهم ان الفتى  
ابن أخيك ، فهم يحتفظون به وهذا يكلف نقودا • فهل

مستساعدهم ؟ وأصدقائي ليسوا أغنياء ، وإذا لم تدفع  
فلن ترى ابن أخيك ثانية .

**فتكلم عمى ببطء وقال :**

– لا يهمنى ، انه لم يكن فتى طيبا .

**فقال الن :**

– آوه ، يبدو أنك تتظاهر ، وتظن أن هذا  
سيخفض الثمن .

**قال عمى :**

– كلا ، هذه هي الحقيقة ، فانا لا اهتم بالولد .  
ولن ادفع شيئا ، ولتفعل معه أى شيء .

**فقال الن :**

– لماذا يا سيدى ، الدم اثخن من الماء ! لا يمكن  
أن تترك ابن أخيك ، انه لعار . وإذا سمع الناس ذلك ،  
فلن تصبح محبوبا فى هذه المنطقة .

**فاجاب ابنيزر :**

– أنا لست محبوبا حاليا ، ولن يعرف أحد

بالموضوع ، لن أتكلم عنه ، وكذلك أنت وأصدقائك  
فقال الن :

— حسن ؛ إذن سيخبر ديفيد كل الناس •

فقال عمى بحدة :

— كيف ؟

— أوه ، سيحتفظ أصدقائي بابن أخيك ، إذا  
حصلوا على نقود مقابل ذلك ، أما إذا لم تدفع لهم  
نقودا ، فسيطلقون سراحه •

فقال عمى :

— أنا لا أحب ذلك أيضا •

فقال الن :

— حسن ، إذا لم ترد الفتى ، فماذا سنفعل به ؟  
كم ستدفع ؟

ولم يجر عمى جوابا ، ولكنه تامل فى جلسته •

**ولال الن :**

- هيا يا سيدى ، اننى جنتلمان • اننى لست  
خادما لانتظر • احب الآن ، والا وضعت سيفى عبر  
جسدك •

فصرخ ابنيزر وهو ينهض بسرعة مرتعشا :

- اعطنى بعض الوقت يا رجل ؟ ما هى الحكاية ؟  
تذكر بندقيتى ؟

**فاجاب صديقى :**

- بندقيتك بطيئة امام سيف الن الصلب الناصع •  
- حسن يا رجل ، ماذا تريد ؟ اخبرنى فقط ،  
وسنتفق •

- فى كلمتين ، هل نقتل الفتى ام نحفظ به ؟

- اوه سيدى ، لا داعى ان تتكلم هكذا !

**كرد الن :**

- نقتله ام نحفظ به ؟

فقال عمى :

— أوه ، احتفظوا به .

فقال الن :

— حسن ، سيكلف ذلك أكثر .

فصرخ عمى :

— يكلف أكثر ؟ حسن ، إذا كان يجب أن أدفع ،

فسادفع ، انه ابن أخى .

قال الن :

— حسن . والآن ، ما هو الثمن . أولا يجب أن

أعرف ، كم دفعت لهوسيسون ؟

فصرخ عمى :

— هوسيسون ؟ مقابل ماذا ؟

فاجاب الن :

— مقابل عمله ، عندما خطف ديفيد .

فصرخ عمى :

- انه افتراء ، انه كذب • لم يخطف أحد الفتى !

فقال الن :

- حسن ، انها ليست غلطتى اذا لم يحفظ  
هوسيسون هذا السر الذى بينك وبينه ••

فقال ابنيزر :

- ماذا تقصد ؟ هل أخبرك هوسيسون ؟

فقال الن :

- كيف لى أن أعرف اذا لم يخبرنى ؟ هوسيسون ،  
اننا نعمل سويا ، ولى نصيب فى تجارته • انك كنت  
عبيطا ، والآن ماذا دفعت له ؟

فقال ابنيزر :

- حسن ، الحقيقة هى اننى أعطيته عشرين جنيها ،  
وعندما يصل أمريكا يمكنه أن يبيع الولد مقابل عشرين  
آخرين •



خطا المحامي الى الامام قائلا :

— شكرا مستر طومسون • هذا يكفي تماما •

ثم قال في نبرة مؤدبة :

— مساء الخير يا مستر بالفور •

ثم قلت :

— مساء الخير يا عم ابنيذر •

ثم اضاف تودنس :

— انها ليلة جميلة ، مستر بالفور •

## الفصل الخامس والثلاثون

### استلامى الميراث

لم يقل عمى أى كلمة سواء طيبة أم سيئة • كان يجلس على أعلى سلمة ، وينظر إلينا • وأخذ الن البندقية منه ، وسحبه المحامى من ذراعه وقاده الى المطبخ • وتابعناه كلنا متطلعين اليه • كنا جميعنا مسرورين بحيلتنا ، ولكننا احسبنا بالشفقة من أجل عاره ، أيضا •

#### قال المحامى :

— هيا •• هيا •• مستر ابنيزر ، لا تحزن هكذا •• أعذك أن نسهل الأشياء من أجلك ، والآن اعطنا المفاتيح ، وسيحضر لنا تورنس زجاجة من نبيذ والدك ، ومنشرب نخب مستقبل ابن أخيك •

والتفت الى وامسك بيدي قائلا :

- مستر ديفيد ، اهنتك بميراثك • انه ملكك •

ثم قال لالن :

- وانت يا مستر طومسون ، اهنتك ايضا ، لقد  
أديت دورك جيدا •

صافحت الن وشكرته على معاونته لى • ودخل  
مستر رانكيلور ، وعمى الى حجرة أخرى ليتكلم . وذهب  
تورنس لاضمار النبيذ ، واشعلت مع الن النار •

ورسمنا خططا لهروب الن • وكان هناك أحد  
المحامين فى كوينزفيري ، وهو رجل مأمون ساقبله فى  
اليوم التالى ، واعطيه نقودا • وسيعثر على سفينة لتأخذ  
الن الى فرنسا •

عاد تورنس ومعه النبيذ ، وفتحنا الزجاجاة ،  
ونزع الكاتب الغطاء عن السلة وكان بها طعام طيب •  
فجلست مع الن وتورنس واكلنا وشربنا •

غاب المحامي ، وعمى مدة ساعة • وعندما اتلفنا  
صويا ، وقع عمى على أوراق ضرورية • وكان على عمى  
أن يدفع لى النصيب الأكبر من دخل ممتلكات آل شوز •  
وهكذا ، فانا الآن مثل فتى الاغنية القديمة • قد  
استعدت بيتى وميراثى ••

وعندما رقدت تلك الليلة فوق صندوق المطبخ ،  
كنت رجلا غنيا ، ونام آلن ورائكيلور وتورنس نوما  
هنيئا على سرهم الجامدة بجانبى • ولكنى لم أستطع  
النوم ، رقدت مستيقظا طول الليل • كنت أفكر فى  
مستقبل •



## فهرس

٧	المؤلف: .....
١٣	الفصل الأول: مغادرتى للبيت .....
١٩	الفصل الثانى: وصولى إلى منزل عائلة شوز ....
٣١	الفصل الثالث: لقائى مع عمى .....
٣٨	الفصل الرابع: تصرف عمى الغريب .....
٤٦	الفصل الخامس: اكتشف لغزا .....
٥٢	الفصل السادس: تسلق البرج .....
٥٨	الفصل السابع: ذهابى إلى كوينز فيرى .....
٦٦	الفصل الثامن: الخدعة .....
٧٣	الفصل التاسع: ذهابى إلى البحر .....

٨٠	الفصل العاشر: القمر
٨٨	الفصل الحادى عشر: الرجل ذو الجزام المملوء بالذهب
٩٤	الفصل الثانى عشر: اتضامى للغريب
١٠٣	الفصل الثالث عشر: الهجوم على القمر
١٠٩	الفصل الرابع عشر: أغنية آلن
١١٣	الفصل الخامس عشر: القبطان يعقد سلاما
١٢٠	الفصل السادس عشر: السيتواريتو والكامبليون
١٢٨	الفصل السابع عشر: السفينة تغرق
١٣٧	الفصل الثامن عشر: الجزيرة الصغيرة
١٤٤	الفصل التاسع عشر: الفتى ذو الزر الفضى
١٥١	الفصل العشرون: الثعلب الأحمر
١٦١	الفصل الحادى والعشرون: حديثى مع آلن فى الغابة
١٧٠	الفصل الثانى والعشرون: زيارتنا لأوخارن
١٧٧	الفصل الثالث والعشرون: وادى الصخور

١٨٦	الفصل الرابع والعشرون: ألن يبعث برسالة.....
١٩٤	الفصل الخامس والعشرون: الأرض البور.....
٢٠١	الفصل السادس والعشرون: عش كلونى.....
٢١١	الفصل السابع والعشرون: المشاجرة.....
٢٢٤	الفصل الثامن والعشرون: زمار القرب.....
٢٣٥	الفصل التاسع والعشرون: الجسر.....
٢٤١	الفصل الثلاثون: الزورق.....
٢٥٢	الفصل الحادى والثلاثون: حديثى مع المحامى.....
٢٦٤	الفصل الثانى والثلاثون: الأخوان.....
٢٧٠	الفصل الثالث والثلاثون: النظارة.....
٢٧٦	الفصل الرابع والثلاثون: العصيدة.....
٢٨٧	الفصل الخامس والثلاثون: استلامى الميراث.....







مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٩٨٠٤

I.S.B.N. 977-01-6733-9